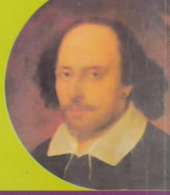


الأعمال الكاملة

وليام شكسبير

العبرة فى النهاية

INTERNATIONALITY
العالمية للكتب والنشر

العبرة في النهاية

تأليف

ويليام شكسبير

ترجمة

إبراهيم جلال



العبرة في النهاية

وليام شكسبير

الطبعة الأولى: 2010

رقم الإيداع: 9506/ 2009

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



الناشر



١٥ الفاروق عمر بن الخطاب - الطالبية - فيصل - الجيزة

تليفون وفاكس: ٣٧٢٢٣٧٢٧ محمول: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٢

مقدمة المترجم

أصل هذه القصة أحدوثة، وما أصغرها من أحدوثة، جرت على الألسنة، تلك العبقرية التي تداولتها الألسن نقلاً عنها سائر الأمم.

وتدور أحداثها في باريس بقصر الملك، وحينا في فلورنسا، وحينا في قصر كونت رسيون.

لقد طالع شكسبير هذه الأسطورة، فصورها جملة في أحسن ما تتصوره حادثة إنسانية، تفصيلاً معنويًّا، ترى وراءها آية من آيات تعمقه في الأغوار الإنسانية في كل حي، مع اختلاف البيئات وتعدد المناشىء، والصفات ، وتنوع المعايش.

وقد تعمق حتى في تصوير البتولية والنزعات الفسيولوجية الناتجة عن التمسك بها، فتطرق إلى الشهوات والغرائز وأثرها على النفس البشرية، وها هو شكسبير يحطم قيود الرومانتيكية التقليدية وأحاطها بأُطُرٍ من إبداعه، فكانت رومانتيكيته إزدواجية بين الممكن والمستحيل، فأضاف لها بذلك بعدا دراماتيكيا، وهو ما أسفر عنه عنوان مسرحيته

(العبرة في النهاية).

فإذا انتقلنا إلى التمثيل الجمالي، فترى انه أصلح ما يكون لتزدان به النفس الإنسانية الصالحة التي لا تترك نفسها للآخرين من ذوي الأهواء والنفوس الشريرة، فما أجمل من ذلك رسم حسي للنواقص البشرية، والكمال الإنساني كذلك وحب الخير، كما في الشخصية التي كشفت الخير ولو كان على حساب حياتها.

إنها العبقرية التي طفق يهيئ أجزاءها، ويرتب مشوقاتها، ويصل الأسباب والخيوط الفكرية الدقيقة ما بين أولها وغايتها.

فما بالك بعد جمال ذلك الكساء اللفظي، وأزواجها من المعاني التي اكتست بها..!!

إن المعاجم على ضخامتها وسعتها لهي ضئيلة أمام متناسقات الجمل والتعابير الإنسانية، وكأنها الطبيعة خلقت بمفاتنها بين يديه حين يصور منها حكمة نتعلم منها، وما زالت تلك الحكمة هي إلهام الكثيرين والكثيرين من العباقرة الذين ينهارون من عظمة ذلك الكائن شكسبير.

إبراهيم جلال فضلون

الشخصيات

ملك فرنسا	
دوق فلورنسا	
برتران	كونت روسيون
لافو	سيد عجوز
بارول	صديق برتران
المُهرج	
سادة من فرنسا	
وكيل الصراف	
غلام	
رجال من الحاشية	
ضباط، وجنود	
كونتيس روسيون	والدة برتران
هيلانة	مرافقة الكونتيس
أرملة عجوز من فلورنسا	
ديانا	ابنة الأرملة
فيولنتا	صديقة الأرملة

ڤريانا صديقة الأرملة

تجري الأحداث مرة فى فرنسا، وأخرى فى توسكانا.

الفـــصـــل الأول

المشهد الأول

((يدخل برتران وكونتيس روسيون وهيلانة ولافو مرتدين ثياب الحداد))

الكونتيس : ها أنا حزينة مهمومة لمفارقتي ولدي الحبيب، وبذلك أفقد روحا غالية ثانيا

برتران : سيدتي الغالية.. لا عليّ فعل شيء غير ذلك... فلا مجال إلا الخضوع والانصياع لأوامر السيد الجليل، فتريني من اتباعه أحيا في كنفه ورعايته.

لافو : لا تبالي يا سيدتي، ستجدين في الملك روحًا عطوفًا حنونًا، وأنت أيضًا سيدي الكريم ستجد أبًا شمل ملكه بعطفه، وعمّ الجميع بأفضاله وكرمه.

الكونتيس : استيقظ الحزن في كل أركاني، جدران حجرتي سوداء يلونها الحزن، كلماتنا سوداء.. وجوهنا تشابهت صبغت بلون الحزن.. أما يوجد أمل في شفاء الملك الكريم؟ ألا يوجد أي أمل؟

لافو : لقد أمر أطباءه بالانصراف بعد أن تأكد من فقدان الأمل في استرداد صحته.

الكونتيس : "تشير إلى هيلانة": أترى هذه السيدة الشابة؟ كان لها والدٌ عرف بالشجاعة والحكمة والعلم، أتعرف؟ أنا واثقة كل الثقة بأنه لو كان على قيد الحياة لشفى الملك وخفف عنه مرضه الجسيم.

لافو : ما اسم الشخص الذي تصفينه بهذه القدرات الخارقة للعادة يا سيدتي؟

الكونتيس : كان يدعى " جيرار دي نربون"، وكان قد مولعا بالطب ماهرا فيه..

لافو : أهذا هو الرجل الذي....؟ عرفته، كان رجلا متفوقا، فقد كان الملك يتحدث عنه بإعجاب حزينا على غيابه، ويتمنى أن يكون هو على قيد الحياة؛ لأنه يقدر قيمة العلم، وموقن أن بالعلم يتغلب الإنسان على المرض وبه يذلل الصعاب.

برتران : وما العلة التي أصابت مولانا الملك؟

لافو : جفاف في العروق.. الملك يشكو جفافا في العروق يا سيدي؟

برتران : أيوجد مرض مثل هذا؟! هذه أول مرة أسمع بهذا المرض.

لافو : تبين لي أن هذه السيدة ابنة "جيرار دي نربون"، أهي هي؟

الكونتيس : وكيف عرفت هذا؟

لافو : حين ذكرنا اسم " جيرار " سرق الحزن زهر وجهها، وملأت علامات الكدر تقاسيمها.

الكونتيس : أجل، ابنته الوحيدة يا لافو، وقد فوض إليّ أمرها وأنا أحسن تربيتها أملا في أن يثمر هذا الغرس ثمرا طيبا، فقد ورثت خصالا تزيدها روعة، غير أنها عزيزة النفس، سمحة، طيبة القلب، كل هذا إن لم يقترن بالفضيلة والأخلاق الكريمة تحول إلى نقائض مخزية.

لافو : ثناؤك يا سيدتي هذا أفاض الدمع من عينيها.

الكونتيس : ذكرى والدها لا تفارق ذهنها.. كفي يا هيلانة عن البكاء، لا ينبغي لك أن تستسلمي للبكاء.

هيلانة : إن بدت لكم دموعي المالحة فهذا يعني أن قلبي يتمزق قطعا قطعا.

لافو : صدقيني، الحزن الشديد يضر، فهو عدو الأحياء، أما الحزن المعتدل فهو دَيْنٌ علينا نحو الأموات.

برتران : ألتمس صلواتك سيدتي.

الكونتيس : صلواتي تباركك أيها الابن الغالي، أتمنى أن تخلف اباك، وتمتثل لشيمه وأخلاقه، واسمع نصائحي التي قد

اختمـرت في مختـبر هـذه الـدنيا، لا بـد لأصـلـك مـن أن يوازي علو أخلاقك، كن واثقا يا ولدي أن حبك للناس يرفعك، وعداوتك لهم تحط من شأنك، لا تثق يا ولدي الحبيب إلا بمن انتخبتهم، فكن دقيقا في اختيارك لمن تقربهم إليك، ولا تكن ثرثارا، وزن كلامك قبل النطق به، التمس من السماء أن تغمرك بفضلها، وأن تمنحك عظيم الفرص وأن تجود عليك بالبركة والنعم.

ل (لافو) : لا داعي لأن أوصيك خيرا به، فهذا مولى حديث العهد.. اتبعه وامنحه من نصائحك ما يحلل له عقده، وزلّل له صعوبات حكمه.

لافـو : وداعًا أيتها السيدة الحنونة.. وداعًا أيتها الأم العطوفة..

((يخرج الجميع عدا هيلانة))

هيلانة : (وحدها) ما بك يا هيلانة؟ أتفقدين كل شيء عزيز لديك؟ يا للسعادة التي تناوئ فؤادي؟ أفقد أبي العزيز الذي يستحق كل دموعي تعظيما ووفاء لذكراه الطيبة، ثم بعدها أفقد حبيبًا غاليًا احتلت ملامحه خلايا عقلي فأصبحت لا أرى إلا صورة برتران، لدرجة أنني أكاد أنسى صورة أبي، فلا أرى إلا خصال شعره الذهبي وقسمات وجهه الصبوح، وبنيانه المشوق، وعضلاته التي تظهر عن

سترته... وآسفاه على أملي؛ فقد انقلب حبي عذابًا أليمًا.. ليس لوجودي مبرر إذا ابتعد عني برتران.. لا قيمة لوجودي بدونه.. رغم اني أعلم ان عشقي مستحيلا، فأنا أعشق نجما متلألئًا، فإذا وصلت إلى فضائه أحس بأنها إشعاعات بعيدة المدى.. حقا هذا وهمٌ صنعه قلبي لأن الشاة التي تطمح إلى مشاركة الأسد في عرينه محكومٌ عليها بالإعدام.. ماذا أفعل وقد غاب عني؟ أتحبينه لهذه الدرجة يا هيلانة؟ نعم أحبه، وحسرتي لفراقه تمزقني.. أيتها اللحظة البائسة، أجيبيني أين يذهب عني؟ ومتي وأينأراه ثانية؟

((يدخل بارول))

هذا الرجل صديقه ومن حاشيته، ورغم انه كاذب، حقير، خسيس، غبي، لئيم، غير مستحق لأي منصب يتولاه أو عمل يشرف عليه، رغم كل هذه العيوب والنقائص إلا إنني أحبه لأجله.

بارول : كيف حالك أيتها الملكة الجميلة؟

هيلانة : بخير.. أيها الملك الوقور.

بارول : هل أنا ملك؟

هيلانة : وهل أنا ملكة؟

بارول : أراك تفكرين وتتأملين بمسألة البتولية.

هيلانة : مثلما تفكر أنت بشئون الجندية، أحقا إنكم أعداء البتولية؟

بارول : تقصدين من؟

هيلانة : أنتم جنس الرجال.. لم تجبني بعد، إذا كنتم أعداء البتولية فكيف نحمي أنفسنا نحن النساء؟

بارول : دعيه جانبا وابعدي عن دربه.

هيلانة : وإن كان لا يكف عن مهاجمتنا، فماذا نفعل؟ غير أنك تعلم جيداً أن المرأة مهما كانت شجاعة جريئة تظل بتوليتها ضعيفة.

بارول : هذا ليس بصحيح، ألا تعلمي أن الرجل متى وجد نفسه أمامها يحتال عليها لينال منها غايته.

هيلانة : ألتمس من السماء أن تحفظ بتوليتنا من أي هجوم أو انهيار.. اخبرني يا بارول، ألا يوجد لديك طرق فولاذية لحماية أنفسنا ووقايتنا من جنسكم والانتصار عليكم؟

بارول : إن أردت أن تحصني نفسك فاعلمي أن النساء هن من يحدثن الثغرة، وقتها ليس أمام الرجل سوى الانتصار وتحقيق الفوز.. إني أستغرب كثيرا من تفكيرك بهذه الصورة، فحقيقة الأمر أنه لن تخلق عذراء +إذ لم تنتزع

هذه البتولية، فالمحافظة عليها خسارة فادحة؛ إذ حين تزول يعوض عنها بعشرات العذارى.

ما رأيك في هذه المعركة التي تقتضي مهارة فائقة، ودراية وتدريبًا جادًّا على كل فنون القتال.

هيلانة : أنا أقوى على هذه المعارك الطاحنة، ولو اضطررت إلى قضاء عمري كله مقاتلة أقصد (عذراء).

بارول : لا داعي لأن تتوقفي طويلا أمام هذا الأمر، فهذا بطبعه يخالف طبيعة البشر التي فُطِرنا عليها، سيدتي ليس أصعب من الموت كعذراء، ولكن كان عليك أن تسأليني كيف يرى الرجل البتولية؟ إجابتي في هذه الحالة تكون خارقة لأي توقع، فالبتولية كئيبة متعجرفة.. ثم أي؟ متكبرة غارقة في معاصيها الذاتية التي +تشبها متخفية حتى إن حفظتها جميع الأسلحة.

عزيزتي، لا تتمسكي بها فهي بعد عشر سنوات تصدأ أسلحتها التي تدافع عنها، فما عليك إلا أن تجربي.. تجربي حظك.

هيلانة : ماذا ترى مولاي أن أفعل؟

بارول : عزيزتي، هذا الأمر لا بد فيه من اختيار يدعمه التفضيل، فما رأيك بالسلعة إذا ظلت محفوظة في

مستودعها، أما تفقد رونقها وجمالها؟ وما حسبك بالفواكه الناضرة الجميلة، وما أقبحها حينما تذبل ويدركها العفن فلا تصلح إلا للرمي في سلة المهملات، أما اخترتي الآن؟ لا أريد أن أضايقك هيلانة.

هيلانة : لا.. لا تضايقني بارول، لكنني لا أريد أن أفرط في بتوليتي، هناك في القصر سيدك يختار بين ألف من صاحباته من تصبح أمًا وصديقة، ها هو سيدك ينتقي ألف اسم واسم يدعوها عصفوره الصغير وقائده وعدوه وكبرياءه، هناك ألف اسم وألف.. كان الله في عونه، ألا ترى أن قصره مدرسة مفيدة تزود الرجل بالخبرة والهمة، ألا ترى أنه يصلح أن يكون معلمها الأول؟

بارول : في أي فئة من الرجال تضعينه؟

هيلانة : هو.. ممتلئ قلبه بالخير، لكن الشر.. الشر.. من حوله!

بارول : أين الشر الذي تتحدثين عنه؟ ((يدخل الخادم))

الخادم : يا سيدي بارول.. مولاي يستدعيك في الحال.

بارول : لعمري لقد استمتعت بحديثك يا هيلانة الرقيقة..

هيلانة : وأنا أيضا.. ربما لأننا لم نتفق.

بارول : وداعا.. أيتها الملكة الجميلة.

هيلانة : ثانيةً، تلقبني بالملكة، قل لي يا سيد بارول أنت تحت

رعاية أي برج وُلِدْتَ؟

باروል : تحت رعاية برج الحرب.

هيلانة : توقعت هذا بالضبط.

بارول : لماذا؟

هيلانة : أعتقد يا سيد بارول أن هذا يليق بك كثيرا.

بارول : أتقصدين أنني تابع له؟ نعم أنا تابع له في تحكمه وسيطرته.

هيلانة : بل تقصد تتبعه في حركته الرجعية.

بارول : ما الذي جرى بك إلى هذا؟

هيلانة : الغريب أنك لا تعرف قدراتك، فأنت ماهر في التراجع.

بارول : ربما للاستفادة من كل الفرص أكانت متاحة أم لم تتح.

هيلانة : أحيانا التراجع والهروب يكون في مصلحتنا أيها الملك الوقور، لكني أراك ازدواجيا تجمع بين الشجاعة والفزع، ربما هذا ما يمنحك القيمة لمدة والتي إن طالت فلها نهاية.

بارول : ليس لدي الوقت لأحادثك أكثر من هذا، غير أنه ليس لديك سوى تلك المعرفة الجوفاء، لا عليك إلا أن تستوعبي كلماتي وتصقلي ذاتك بخبراتي، وإلا أضعتِ

جل عمرك في وجود معدوم الأثر والنفع لك ولغيرك ،لا عليك إلا أن تتضرعي وتصلي لتنالي منالك وتحققي مرادك، فتّشي بين أصدقائك ربما تجدين بينهم زوجا صالحا تبادلينه الحب المنشود، أما الآن فلا يبقى سوى أن اودعك .. وداعا أيتها الملكة.   ((ويخرج))

هيلانة : القدر .. كل شيء محكوم بالقدر.. فقد يوجد بأعماقنا علة نلتمس لها الدواء من السماء لشفاء علتنا هذه ونكتشف أخيرا أن أعماقنا تحوي العلة والدواء، فالقدر يتركنا أحرارا في اختيار مهنتنا، أصدقائنا، أحبابنا، ولا تتوقف طموحاتنا إلا إذا توقفنا نحن خاملين، فمن يهاب الصعاب ويتصور أن الأمر جبلٌ صعب الوصول إليه لن يصل إلى أول الجبل أصلا، فأولو الهوى يجتهدون ويبذلون كل ما في وسعهم لينعموا ويسعدوا، فمن يرغب في رؤية حبيبه وتصنع يداه حائلا شامخا بينه؟ أيعقل هذا؟ لا رجوع عما صممت عليه، فلا وجود لمحب عزيمته خائرة، ولا توفيق لمن ليس لديه الثقة.

(تخرج)

المشهد الثاني

(في باريس داخل القصر الملكي)

تسمع موسيقى، يدخل ملك فرنسا بيده رسائل ويتبعه سادة ووجهاء في خدمته.

الملك : فلورنسا... وسيانا.. أهالي فلورنسا وأهالي سيانا يشنون حربًا ضارية، وفيما يبدو أنهم لديهم إمكانيات متساوية.

السيد الأول : هذا ما يتحدثون عنه يا مولاي.

الملك : تأكدنا من هذا برسالة ابن عمي النمساوي مشيرا فيها إلى اقتراب أهالي فلورنسا من طلب العون منّا.. وهذا الصديق العزيز يساندهم ويلبي كل احتياجاتهم، ويظن منا الرفض.

السيد الأول : لا بد له من أن يفوز بحبك وتقديرك يا مولاي العزيز بعد أن أثبت مرارا حبه وإخلاصه لك.

الملك : نعم، لا غبار على ما قلته، فلقد انصاع لأوامري وسلمهم أسلحة، على كل حال في توسكانا وجهاء لنا مستعدون أن يتضامنوا مع أي جهة ترضي أهواءهم.

السيد الأول : ها أنت تعلمنا يا مولاي كيف نستغل الظروف؟

الملك : من القادم؟

(يدخل برتران ولافو وبارول)

السيد الأول : يا مولاي العزيز، هذا هو برتران كونت رسيون.

الملك : (لبرتران) يا لهذا الشبه بينك وبين أبيك.. كل شيء فيك يشبهه؛ النزاهة والإخلاص سمتا أبيك قد انتقلا إليك، ليتك تستمد منه أيضا صفاته الحميدة التي كم تشبعت بها نفسي وأصّلت في أعماقي. مرحبا بك في باريس برتران العزيز.

برتران : لك يا مولاي شكري واعترافي بفضلك ونعمك، ولك أيضا ولائي وإخلاصي لأمرك.

الملك : لا تظنني أذكر أباك بما يشبه المدح لكونك ابنه، لا، فكم يسرني أن أتحدث عنه! كم يسعدني أن أذكر رفيق السلاح، كنا يا برتران العزيز أشجع الفرسان، عزيمتنا الفولاذية حررتنا من أن نخاف الموت، هكذا كان شعارنا، وخز الأسنة إن طالتنا لا تؤلم، كنا يا عزيزي مثالا للشهامة والكرم، فوالدك يثبت جدارته حين يمتشق أحد سيفه ويخفضه حين لا يقتضي الأمر، كان شديدًا، لينًا، كريمًا، يحسن معاملة رجاله ولا يسمح بأي تطاول أو

خروج عن المألوف، مثالا للشرف، هكذا كَنا فاحترمنا الجميع وقوَت روابطنا.

برتران : يا مولاي العزيز، أرى أن ذكراه لا تفارق ذهنك، فبطولاته شائعة في ذاكرتك سافرة جلية عما في سجلات التاريخ، ولا تحسبني يا مولاي أذكرك بما يشبه المدح لكونك مدحت أبي، فشكرك صنيع والدي واعترافك بطبائعه الحكيمة وأخلاقه السمحة لا يقل عما أراه فيك يا مولاي من هيبة وعظمة ووقار.

الملك : لا، هذا حق والدك .. هل تصدقني حين أقول لك أن صوته لا يزال يرن في أذني، كلماته التي كانت ترسخ في العقول فتنمو وتثمر، فقد كان حكيما يرى ويقدر العمل، ويحقر من شأن العاجزين، لذا دائما كان يقول: أود أن أموت لأني لا أريد أن أكون مصباحا فرغ زيته في ليل مظلم، هذا ما تمناه وما تمنيته أنا أيضا .. ليتني أملك تمام عافيتي، أما تراني وقد داهمتني الشيخوخة وأنهكت عزيمتي، وآن لي أن أرحل لأفسح الطريق لمن يأتي بعدي من العاملين.

السيد الأول : يا مولاي..لا تحسبني أترنم بمحاسنك، فأفضالك حببت رعيتك وشعبك فيك، وإني لأرى خصومك

يتحسرون لغيابك بعد العمر الطويل لك يا مولاي.

الملك : هذا ليس بعيب أن نفسح الطريق للأجيال لينالوا من الحكم ما نلناه، أخبرني أيها الكونت ماذا عن طبيب والدك جيرار.

برتران : مات منذ ستة أشهر يا مولاي.

الملك : لو كان على قيد الحياة لقدّم لي الكثير، أرجوك امسك بيدي، أما معظم أطبائي يجريون في عقاقيرهم بعد أن أصبح جسمي مختبرا لتجاربهم والتي غالبا ما تفشل.. أهلا بك يا برتران في باريس، فأنت في مقام ولدي.

برتران : شكرا جزيلا يا مولاي الوقور على رعايتك لي.

(يخرجان وتصدح الموسيقى)

المشهد الثالث

في قصر كونت روسيون

تدخل الكونتيس ووكيل الصرف والمهرج

الكونتيس : كلّي آذان مصغية، ماذا قلت عن هذه السيدة؟

وكيل الصرف: اغفري لي سيدتي ، واجعلي سنينا قضيتها في خدمتك تشفع لي.

الكونتيس : (تلتفت إلي المهرج) ما الذي جاء بهذا اللعين؟

المهرج : سيدتي .. لا أشكو إليك سوء حالي .. ولكن انت تعلمين انني رجلٌ مسكين.

الكونتيس : لا داعي .. فأنا أعلم ذلك جيدا .

المهرج : إذاً ليس عدلا سيدتي أن أظل فقيرا في حين أن اغلب الأثرياء ليس حالهم أفضل من حالي، لذا أستأذنك يا صاحبة السعادة سنحقق أمانينا أنا وإيزابو.

الكونتيس : هذه أمانيك، كونك تصبح متسولا .. يا للعجب.

المهرج : أجل سيدتي، الخدمة ليست وراثة، فعلي أن أراعي كوني

إنسانا، ولن أنال حقوقي كإنسان إلا إذا أعددت لذلك جيدا، هذه رغبتي قد تؤهلني لأن أتزوج.

الكونتيس : وما الذي يدفعك إلى هذا؟

المهرج : سيدتي ، أنا على يقين بأني لن أنال رضا الله قبل أن انجب أولادا .. فالأطفال رزق وبركة، غير أن شهوتي تقودني إلى هذه الفكرة التي ربما لا أتفق مع شهوتي عليها، لكن الأمر بداخلي ولا عليّ أن أتجاهله.

الكونتيس : أهذا كل ما لديك بشأن قضيتك تلك؟

المهرج : لا سيدتي الفاضلة، لدي دوافع أخرى جرتني إلى اعتناقي هذه الفكرة.

الكونتيس : أيوجد ما يمنع أن تبوح لي بها؟

المهرج : كثرت ذنوبي، كأي إنسان مخلوق ولا أرى لي سبيلا لأن أتوب إلا الزواج، غير أني لا أصدقاء لي، وأتمنى أن يعوضني الله عن هذا النقص بزوجة صالحة.

الكونتيس : لا أصدقاء لك! هذا أمرٌ غريب.. ولو كان لك أصدقاء فهم في الواقع أعداء.

المهرج : مولاتي، دعك من التفكير بهذا الأسلوب، فالأحرى أن تثقي أن هؤلاء من أعز الأصدقاء المخلصين، فمنهم من يحرث أرضي فيوفر التعب على بهائمي، ويدعني أجني

غلتي، ومنهم من يداعب زوجتي فيوفر عليّ جهد إرضائها، ومنهم من يعانق امرأتي فيثبت لي أنه من أعز الأصدقاء.

الكونتيس : لن تكف عن النميمة أيها اللعين.

المهرج : أنا لست ملاكا سيدتي، بل أحادثك عن واقع ملموس.

(يتمتم).

دأبي ترديد أنشودة

على كل لسان مسرودة

وفي الأغوار شهوة منشودة

كون الزواج قسمة ونصيب

لا يجدي فيه ساحر ولا طبيب

وحسد الناس أمر عجيب

الكونتيس : أيها المغفل، قل لمرافِقَتي هيلانة تحضر إلى هنا؟

وكيل الصرف: مولاتي، أريد أن أكلمك عنها؟

الكونتيس : نفذ حالا ما أمرتك به أيها المغفل. لـ (وكيل الصرف): أنا مصغية لك.. تحدث

وكيل الصرف: أنا على يقين يا مولاتي أنك تحبين هيلانة حبا منقطع النظير.

الكونتيس : نعم، لقد أصبت القول، حقا أحبها من كل قلبي فهي تستحق كل محبة ورعاية، فالجميع هنا على أتم

استعداد أن يعطوها أكثر مما تطلب نظرا لقلبها الصافي وأخلاقها الكريمة.

وكيل الصرف : سيدتي، رأيت من واجبي أن أخبرك بأمرٍ خطير.

الكونتيس : أفصح عما يجول بخاطرك.

وكيل الصرف: لقد كنت قريبا من مرافقتك العزيزة هيلانة يا سيدتي، وسمعتها تحدث نفسها بصوتٍ لا يكاد يسمعه أحد، وفهمت بشكلٍ غير مباشر أنها تعشق ولدك الحبيب.

الكونتيس : قل لي أيها الأمين كل ما سمعت.

وكيل الصرف: كانت تقول بمرارةٍ أليمة وحسرةٍ مبينة: واأسفاه لِحَظّي التعيس، واحسرتاه على حبٍ يضيع بين الفوارق الاجتماعية، شاء حظي أن يضع أمام حبي عائقا يدعى (الطبقية) .. أليس الحب لا يعترف بهذه الفوارق، أليس الحب لا يعترف بالنفوذ والمال والفوارق العائلية؟

الكونتيس : ما أعظم صنيعك أيها المخلص الأمين، ساورتني الشكوك في هذا الأمر، سأجازيك خيرا على معروفك هذا شرط أن تتكتم هذا الأمر.

وكيل الصرف: أمرك مطاع سيدتي.

(يخرج وكيل الصرف)

الكونتيس : (تحدث نفسها): التاريخ يعيد نفسه، هكذا كان حالي

منذ كنت صبية، نفس المشاهد والأخطاء، نفس الغريزة المختبئة بين الضلوع لا يراها ولا يسمع نبضها إلا القلب ذاته.. نظرات هيلانة تفضحها، تلك النظرات التائهة الغارقة في أعماق الشوق والحنين.

(تدخل هيلانة)

هيلانة : جئتك على الفور مولاتي، ما الخطب؟

الكونتيس : عزيزتي هيلانة، أنت تعلمين أنك بمنزلة ابنتي التي لم أنجبها، فأنا بمقام أمك.

هيلانة : (ترتجف): اجل يا مولاتي، أعلم جيدا.

الكونتيس : لماذا ترتجفين هكذا؟ لاحظت عليك بعض التغيرات عندما ذكرت كلمة الأم، أكرر عليك، أنت بمنزلة ابنتي التي لم أنجبها، فغالبا ما يكون الربيب أغلى من الولد الشرعي، سامحني الله، أتبكين يا هيلانة؟ أيزعجك كوني جعلتك ابنتي؟

هيلانة : لكني لست ابنتك.

الكونتيس : اعتبرت نفسي كوالدتك، هذا يزعجك يا هيلانة.

هيلانة : لا يا سيدتي ، لكن لا تنسي أن كونت رسيون ليس أخي ولا يمكن أن يكون أخًا لي، فالفوارق بيننا قائمة، هو سيدي ومولاي وأنا خادمته المطيعة وسأظل له مطيعة دون أن

يكون أخي.

الكونتيس : حتى أنا يا هيلانة لا ترجين أن أكون أما لك؟

هيلانة : (تعانقها) : ليت هناك وسيلة لأن أكون ابنتك دون أن يكون هو أخي.

الكونتيس : ها أنت بدون شك تهوين ولدي.

هيلانة : سامحيني يا مولاتي.

الكونتيس : الآن بعد أن خامرتني الظنون تأكدت وفهمت سر عزلتك وتأملك، واكتشفت سر عينيك المتقاطرتين دمعًا، أجيبيني هل تحبينه؟ إن لم تجيبي فقد فضحتك وجنتاك الشاحبتان، إن لم تجيبيني يا هيلانة فقد أجابتني خدودك الذابلة وكلماتك التائهة وتعبيرات وجهك الخجولة، إن لم تجيبيني تجبني قلاقل مشاعرك المقدسة، قولي، تكلمي، لا تخفي عني أنك تحبينه.. أجيبيني فأنا كما قلت لك أمك التي لم تلدك.. أعاهدك إن بينتِ لي رغبتك أن أساعدك.

هيلانة : سامحيني .. سامحيني. (وتبكي)

الكونتيس : أجيبيني يا ابنتي. (تعانقها) أجيبيني، هل تحبينه؟

هيلانة : ألا تحبينه أنت؟

الكونتيس : أنا أمه.. وحبي له لا يضاهيه أي حب، هيا أجيبيني يا

ابنتي.

هيلانة : (تجثو) أعترف لك مولاتي بحبي لابنك، وها أنا أركع أمامك اعترافا بحبي له.

الكونتيس : وما يحزنك إذن؟

هيلانة : فقر أهلي وضعف أصلي، فالفارق بيننا كبير.

الكونتيس : مستوى والدك لن يؤثر على مستواك بل يضيف له.

هيلانة : صدقيني يا مولاتي حبي له شريف، فأنا لن أرضى به زوجا قبل أن أستحق محبته، قد أخسر كل شيء في سبيل هذا الحب الشريف لكن كما تعلمت منك سيدتي أننا لا ننال المجد سهلا وإنما نضحي من أجل الوصول إليه.. وأنا سأثابر على محبته مهما كلفني ذلك من عناء ومشقة.

الكونتيس : لا، لكن من يُرد مجداً غير مستحقه قد.....

هيلانة : أأسف لمقاطعتك سيدتي، لكني كالماجوسي الذي قدس النار في معتقداته الخاطئة ويلتمس منها الدفء رغم أنه قد يحترق بشعلتها المقدسة.

الكونتيس : وكيف يتسنى لي مساعدتك؟

هيلانة : أستحلفك أن ترحمي ضعفي أمام الرجل الذي من الصعب ان يتحقق حلمي بأن يجمع بيننا القدر يوما ما.

الكونتيس : ألم تكوني منذ فترة تودين السفر إلي باريس؟

هيلانة : أجل يا مولاتي.

الكونتيس : ما السبب في رغبتك في الذهاب إلى باريس؟ أخبريني بالحقيقة..

هيلانة : اقسم لك انني سأصارحك بالحقيقة كاملة.. أنت تعلمين أن أبي أوصاني ببعض الوصايا من خلال خبرته العميقة في الحياة، وأصر قبل وفاته بأن أخفي هذه النصائح مهما تكن النتائج؛ لما تحويه هذه النصائح من قيم ومبادئ تفوق الخيال.

الكونتيس : أليس هناك من سبب آخر يدفعك إلى الرحيل إلى باريس؟

هيلانة : ولدك هو الذي دفعني على التفكير في ذلك، فقد عجز الأطباء وجلالة الملك بعد المحاولات الكثيرة التي بذلوها دون فائدة..

الكونتيس : أليس بعجيب أن يقبل جلالة الملك اقتراح صبية جاهلة مثلك؟ أيقبل جلالته مساعدتك أنت؟! في حين أن معظم الأطباء أكدوا له أنه لا جدوى من علاجه.

هيلانة : كُلّي أمل يا مولاتي أن يفوق علم أبي مرض مولاي العضال، كلي أمل يا مولاتي أن تفضي وصفة والدي العجيبة إلى شفاء الملك.. كُلّ ما في الأمر يا مولاتي أن

تسمحي لي أن أقوم بهذه التجربة، ولتنزل رحمة السماء على كل من ساعد في شفائه.

الكونتيس : هل أنت واثقة من ذلك يا هيلانة؟

هيلانة : آمل أن يكون التوفيق حليفي.

الكونتيس : أتمنى ذلك يا هيلانة، وأنا على استعداد أن أذلل لك كل صعب يعوق تنفيذ خطتك، وما عليك إلا أن تتجشمي كل عظيم.. هيا اذهبي بأقصي سرعة كي تستعدي للسفر إلى البلاط، واعلمي أنك كما ذكرت لك من قبل، إنك ابنتي، والكونت ابني، ألتمس من الرب أن يكون زوجا لك، أتمنى لك النجاح والتوفيق.

تخرجان.... وتصدح الموسيقي .

الفصل الثاني

المشهد الأول

لندن داخل القصر الملكي

تعزف الموسيقى إعلانًا لدخول الملك وحاشيته

يدخل الملك وجماعة من السادة والشباب الفرسان ممن سيذهبون إلى الحرب فى فلورنسا

يدخل برتران وبارول وبعض الخدم

الملك : إلى اللقاء أيها الفرسان، رعتكم آلهة الحرب، وداعًا، ولا تنسوا أن يكون الترابط بينكم، فكونوا يدا واحدة وضربة سيف بتارة... فإن نصيحتى إن تركتموها كان الهلاك بينكم يحصدُ منكم أعدادًا، ويزرعُ فيكم الخوف والهلع، فاجعلوها رباطكم، واعملوا بها قدر المُستطاع.

السيد الأول : بل إنها يا مولاي مثل كتابنا المُقدس فى قلوبنا، وندعو الله أن يحقق أملنا ونعود سالمين والنصر حولنا يحمل علم السرور بين يديك يا مولاي، رعاك الله.

الملك : ليت ذلك، فهذا من المستحيل، فلا أُخفي عليكم أن قلبي لن يشفى من علته التى تُفسد مجرى حياتي.

لا عليكم أيها الفرسان، فعليكم بالنصر مهما كان، إن عشت او مِت، فأرجو منكم ان تكونوا ابناء فرنسا الأخيار، وأن تنالوا فقط من الفاسق الإيطالي وأن تنزلوا بهم أشد العقاب، فالتمسوا المجد لوطنكم، واغتنموا الشهرة والمجد بالنصر، ولا تتخاذلوا، الوداع.

السيد الثاني: أدام الرب عيك نعمة الصحة يا صاحب السمو.

الملك :رعاكم الرب ايها المُخلصون الأبرار، وعليكم أن تحذروا بنات إيطاليا، فإن وقعتم بين شباكهن قادوكم إلى الخزي والعار لكم ولفرنسا المُبجلة.

السيدان معًا : كُن على ثقة بنا، فمن غيرنا يحمي الوطن الغالي، فهي الهواء ومرتع قلوبنا.

الملك : إذن، وداعًا.. ولا تنسوا نصيحتي.(لأحد السادة): خُذ بيدي وساعدني. (يتمدد الملك على السرير).

السيد الأول :(لبرتران) سيدي العزيز، من الأولى أن أكون هنا في خدمتك، ولا أتركك هكذا.

بارول : لا، لم يكن ذلك ذنبه، بل كان ذنب الشرارة تلك.

السيد الثاني: يا لها من صُحبة رائعة.

بارول : يا لهم من فُرسان رائعين، فيهم الحماس والنُبل.

برتران : سأبقى لحين صدور الأوامر، فليس لأحد سُلطان عليّ ولا

حتى أن يقول لي: أيها الفتى الصغير، انتظر دورك حتى السنة المُقبلة.

بارول : إن كنت إذن تُريد المُغامرة فهيا، اذهب بشجاعة.

السيد الثاني: يا له من فرار شريف، هيا، سأكون في صُحبتك، الوداع.

برتران : مهما يكُن يا سيدي؛ فإنني مُصمم على البقاء معك، فإن تركتك انهال عليّ قلبي باللوم والعتاب.

السيد الأول : (لبارول): إلى اللقاء أيها الفارس الهُمام.

بارول : أيها الفرسان النبلاء، إننا لسيف واحد بتار على عدونا، فسيوفنا براقة وسط ظلام الليل الحالك السواد، بتّارة سريعة الفتك والحصاد، مُشرقة لها في كل مكان ألف دليل وعلامة، وستجدون في فيلق جماعة (سبيني): قائدًا عظيمًا اسمه (سبريو): على خده الأيسر علامة هي من حد سيوفنا، ومن سيفي أنا بالذات، فإن وجتموه فقولوا له أني لا أزال على قيد الحياة، وأنني الذى أخبرتكم بهذا الحادث الطريف.

السيد الثاني: سأبحث لك عنه في كل الوجوه، وكُلنا مثلي، فإن وجدناه كانت سيوفنا أبلغ على رقبته، بل وأسرع من الكلام، لولا كلامك عنه وعن العلامة تلك، لا عليك

سنُبلغه كلامك بكل عزة أيها الزعيم النبيل.

باروول : حماكم إله الحرب، ففي رعايته سيروا، وبرهنوا على شجاعتكم هذه.

(يخرج الجميع).

(لبرتران) : وماذا سنفعل الآن؟

برتران : أما أنا فسأبقى هنا، لأن الملك............

باروول :إذن، فقد لزمت جوًا من الوداعة مُسالمًا فيه، فعليك أن تُظهر اهتمامك بهم، فهم فُرسان لا يعرفون الأسلوب اللطيف؛ لأنهم يتكلمون حسب الجو، فإن خالف الكلام مجراه، وأغواهم إبليس فلا يترددون عن السير وراءه، فهيا الحق بهم، وودعهم بحماس.

برتران : أنت على حق، سأفعل.

باروول : خير ما ستفعل، لكن لا تنس أنهم على الرغم من أنهم رجال طيبون، إلا أن سيوفهم حادة.

(يخرج برتران وباروول)

المشهد الثاني

في حجرة الملك

يدخل لافو ويرتمي عند أقدام الملك

لافو : سامحني يا مولاي، وغضّ الطرف عن رسالتي.

الملك : أسامحك، ولكن على شرط أن تنهض.

لافو : (ينهض): إنك ترى الآن رجلًا قد دفع من قبل ثمن العفو عنه.

أريد يا مولاي أن أركع عند قدميك لطلب مثل ذلك العفو عني فتمنحني إياه فورًا.

الملك : أنا أريد ذلك أيضًا، لكن بعد أن أثني على إخلاصك، عندئذٍ تطلب العفو.

لافو : ضربتك جاءت إلى جانب الهدف يا مولاي الجليل، ها هو ذا سؤالي: هل تريد أن تبرأ ممّا تشكوه من علة؟

الملك : كلا.

لافو : إنك تريد يا مولاي أن تفعل كما يفعل الثعلب المكار،

تأكل عنبًا كما يفعل الثعلب، وعلى كُلّ فهذه حجج رائعة تتحجج بها لهوًا وعبثًا، فإن كنت حقا تريد الوصول إلى ما تُريد فإني قد شاهدت اليوم طبيبًا بارعًا يبعث الروح في كا ما هو جامد صلب، ويحرك جمود الصخر الأصم، حتى أنه ليُراقص كل نبتة أو حتى الهواء من حوله، فلمسة منه تكفي لتُحيل الميت حيا من قبره، ماذا أقول عنه؟ فما أقوله يا مولاي يكفي لجعل الجاهل يبادر إلى القلم ويخط أروع رسائل الغرام.

الملك : تكلم.

لافو : هو طبيب ماهر يا مولاي، لا وربي، بل إنها طبيبة بارعة، فهل تريد أن أُدخلها عليك وأن تستقبلها؟ أقسم لك بشرفي، إننى بكامل عقلي ولا أمزح، فقد حدثت المرأة التي ادهشتني بأنوثتها وصباها وعملها وحكمتها وتفانينها، فلُمت نفسي على ضعف اندفاعي، هل تريد أن تراها يا مولاي؟ إنها ترغب في مقابلتك لتعرض عليك خطة العلاج، أتضحك، أجل اضحك واهزأ بي كما يحلو لك.

الملك : أدخل يا عزيزي لافو هذه الدرّة الفريدة لكي أكون مثلك أعجب بها.

لافو : طبعًا سأعرف رأيك عندئذ.

(يخرج)

الملك : لقد كان من طبعك أن تُطيل المقدمات بدون الوصول إلى نتيجة حاسمة.

(يدخل لافو ومعه هيلانة).

لافو : هيا ادخلي.

الملك : أرى أنك في عجلة من أمرك في العلاج والمغامرة.

لافو : تفضلي بلا حرج، فجلالته بانتظارك وابسطي له خطتك، فإنك تبدو عليك سحنة المغامرين، إنما مولاي لا يخشى أمثالك أبدًا، إلا أنني واثق بحسن نيتك، ولا يقلقني إن تركتكما منفردين، إلى اللقاء.

(يخرج).

الملك : ماذا تريدين مني أيتها الحسناء؟

هيلانة : أنا يا مولاي ابنة جيرار دي نربون، الطبيب البارع.

الملك : أجل، عرفته.

هيلانة : لن أتكلم عن مزاياه، ما دمت تتذكره، فبينما هو على فراش الموت قد أعطاني عدة وصفات، منها واحدة هي ثمرة خبرته الطويلة وعمله الناجح في اختباراته الواسعة، وقد أوصاني بالاحتفاظ بها بعناية نظير عين ثالثة أغلى من

عيني الاثنين، ففعلت ما أراد، وعندما علمت بأن جلالتك مصاب بعارض شُؤم، قد يُمكن علاجه بعلاج أبي الفعال رحمه الله، جئت أُقدمه لجلالتك مع صدق إخلاصي لك يا مولاي.

الملك : أشكرك أيتها الفتاة، ولكن كيف لي أن أُؤمن بمثل هذا الشفاء الذى حار فيه أبرع أطبائنا مجتمعين، وقرّ رأيهم جميعًا على أن فنّهم عاجز عن الشفاء؟

لا بد لي من أن لا أسمع لهم، ولا أثق بهم وألجأ إلى علاجك ولو كان فيه بعض المخاطرة، إنني أقبل معالجتي بهذا الدواء غير المأمون في علة أعتبرها لا تقبل الشفاء حسب تأكيد الأطباء.

هيلانة : أنا لا أريد أن أفرض عليك ما أُريد، بل ألتمس من كرمك الملكي أن تشملني برضاك، ويكفيني كمكافأة على أتعابي أن أقوم بواجبي نحو جلالتك.

الملك : لستُ يا ابنتي من ناكري الجميل، وبما أنك شئت، فاقبلي إذًا شكري.

هيلانة : أي ضرر يكون بعد إخفاق كل علاج؟

إن من يقوم بالأعمال العظيمة غالبًا ما يحققها بأبسط الطُرق والوسائل، هكذا يقول الكتاب المقدس، فالأنهر

الكبيرة تغذيها الينابيع والجداول الصغيرة، والبحار الواسعة تستقيها مياهها من جموع الأنهار.

وغالبًا ما تخطئ النبوءة في هدفها، وأحيانًا تبلغ غايتها، رغم ضعف الآمال وانهيارها إلى اليأس.

الملك : إذن هيا، وداعًا أيتها الفتاة الأمينة، أخشى أن لا يثمر جهدك بفائدة؟ لأن العروض غير المقبولة لا أجر لها سوى الشكر.

هيلانة : أرجو منك سيدي أن لا تضيع استحقاق المرء هباءً؛ إذ لا أحد يعرف ما أعرف أنا، أرجوك يا مولاي أن توافق على إجراء محاولتي ولا تتكل على عملي بل اتكل على قدرة الله، فإني لستُ بدجالة أقول ما لا أعلمه، لكني أعلم، وأنا على أتم اليقين أن وصفتي ليست عاجزة وأن داءك غير مستعصٍ على الشفاء.

الملك : هل أنت هكذا واثقة من النتيجة؟ كم من الوقت تُريدين لإتمام علاجي حتى أسترد عافيتي؟

هيلانة : بعون الله، قبل أن تغيب الشمس مرتين، سيزول من جسمك كل ما يزعجك من سقم فتعود إليك صحتك وتتعافى كما كنت يا مولاي، وتتخلص نهائيًا من كل مرض ألمّ بك.

الملك : وما الضمان لنجاح هذا العلاج؟ وما دليلك؟ ولما كل هذه الثقة في قناعتك هكذا أيتها الفتاة؟

هيلانة : لا على أمل، ولا على فضيلة وقحة أتذرع بها، ولا أُغمغم بأناشيد بذيئة مشبوهة، أنا أقبل، إذا أخفقت، أن تُنزل بي أقصى العقوبات وتختتم أيامي بأشنع العذابات.

الملك : يا لك من فتاة رائعة، وكأن وحيًا سماويًّا يتكلم بلسانك، وكأنني أسمع نبراته مجلجلة بصوتك اللطيف، وأظن أن ما يرفضه العرف كأنه غير قابل لتحقيق، وقد يُمكن أن يُستبدل بنجاح أخر مُمكن، حياتك جوهرة ثمينة؛ لأن كل الخيرات التي يُمكننا أن نقتنيها في هذه الدنيا أراها مجتمعة في شخصك الكريم؛ من شباب وجمال وحكمة وشجاعة وفضيلة، تؤدي إلى الهناء في ربيع العمر، فلكي تغامري أنت بكُل هذه القيم لا بد وأنك تعتمدين إما على علم واسع أو على يأس رهيب، أيتها الطبيبة الفاتنة، هيا أُريد أن أجرب العلاج الذي تأتيني به والذي سيجلب لك المهالك إذا أنا فارقت الحياة.

هيلانة : إن تجاوزت المهلة المحددة وفشلت ليحصدني الموت واللعنات، وإن لم يتم الشفاء يكون الإعدام هو جزائي، لكن

إذا أبرأتك فبماذا تعدني؟

الملك : اطلبي ما تشائين.

هيلانة : هل تلبي فعلًا طلبي؟

الملك : بدون أي شك، أقسم بصولجاني وبأملي في ربي.

هيلانة : إذًا ستمنحني بإرادتك الملكية زوجًا خاضعًا لسلطانك؛ لأني لا أجسر على التفكير باختياره فهو من الأسرة الملكية الفرنسية، وبما أنني من أصل لا ينتمي إلى أي منبت رفيع الشأن فأنا أريد أحد أتباعك، نظرًا إلى مقدرتك على تلبية رجائي حسب وعدك.

الملك : هذه يدي تُعاهدك، فإذا أتممت ما تقترحينه على سأحقق رغبتك حالًا، هيا أولًا إلى العلاج؛ لأني قررت أن أكون مريضك وأنا متكل على الله وعلى مهارتك، ولكن أُريد أن أطرح عليك أسئلة أخرى: من أين أتيتِ؟ ومن جاء بك إلى هنا؟ ومع ذلك فهذا غير هام، أهلًا بك بدون أي سؤال آخر.(لهيلانه) إن كنت أيتها الفتاة بمستوى المسئولية التي تأخذينها على عاتقك، فإن مكافأتي ستعادل معروفك.

(تصدح الموسيقى ويخرج الجميع)

المشهد الثالث

في قصر كونت روسيون

تدخل الكونتيس والمهرج

الكونتيس : هيا يا سيدي، أريد أن أختبر حسن تصرفك.

المهرج : أنا، فأنا أتصرف كرجل يأكُل كما يأكُل الأغنياء، وقد تربى كالفقراء، المهم أن أدخل البلاط الملكي؛ لأن هذا من أغلى أمنياتي.

الكونتيس : فقط؟ وماذا تريد غيره؟ أليس هناك في الدنيا سواه؟ أتريد فقط أن تدخل البلاط؟

المهرج : في الحقيقة يا سيدتي، إذا منّ الله على إنسان ببعض المواهب يمكنه أن يستفيد منها في بلاط الملك بيُسر وسهولة، فمثلاً هناك إذا لم يعرف المرء كيف يحني رأسه، أو يخلع قبعته، أو يُقبّل يد سيدة، أو يتكلم ببعض الكلمات اللائقة في وقتها، لا يكون أهلاً لدخول أي بلاط، إنما أنا لدي على الدوام جواب لكل سؤال أبهر به سامعيّ.

الكونتيس : كلامك هذا لا غبار عليه ويصلح جوابًا على كل سؤال.

المهرج : هو مُقابل كُرسي الحلاّق؛ على قياس جميع المؤخرات، أجل على قياس جميع الناس.

الكونتيس : حقًا جوابك يُصلح كردّ على كل الأسئلة؟

المهرج : وهو نظير البندقية في يد الجندي، والدينار في يد المرابي، وكأنه كخاتم الخطوبة في يد العاشق الولهان، وكأس الخمرة في يد السكير، والعاهرة الفاجرة بين ذراعي فاسق، بل وكأنه كشفتي الخادمة الحسناء على ثغر سيدها الشاب الأنيق، أو نظير الطعام الشهي أمام الجائع الشَرِه.

الكونتيس : بلى، بلى، إن تفسيراتك تنطبق على كل الاسئلة المُحيرة.

المهرج : من الدوق إلى أقل جندي أو حارس، عندي كل ما يُلائم كل الأشخاص وجميع الحالات.

الكونتيس : لا بد من أن يكون جوابك هائلًا ليناسب كل الأسئلة.

المهرج : هذه حقيقة في نظر منْ يُدرك ويقدّر، فما عليك سيدتي إلا أن تسأليني وعلي انا ان أجيب، فأنا خبير ولساني زلق لا يعيبه أي موضوع، طلق كالمدفع، وأسرع منه.

الكونتيس : كم أود أن أعود إلى صباي، طلبي غريب أليس صحيحًا،

بالله عليك أجبني، هل أنت حقًا خبير؟

المهرج : هذا سؤال وجيه، يا سيدتي اطرحي علي ألف سؤال أيضًا، وانا مستعد للإجابة عليها كلها.

الكونتيس : انا يا صاحبي صديقة مخلصة أعطف عليك.

المهرج : يا إلهي، يا إلهي، كفى كفى، لا تحرجي نفسك.

الكونتيس : أعتقد يا سيدي بأنك غير قادر على الأكل من هذا الطعام الدسم على معدتك.

المهرج : جربيني يا سيدتي، ولا تترددي.

الكونتيس : لقد ذقت طعم السوط منذ برهة على ما أظن.

المهرج : يا إلهي، يا إلهي، هيا، لا تترددي.

الكونتيس : تقول يا إلهي، هل ترد بمثل هذه الجرأة عندما تتلقى الضربات.

المهرج : لا، ابدًا، لأن أملي بالله غير محدود.

الكونتيس : وقتي ضيق، ولا يسعني أن أطيل مزاحي هكذا مع مهووس مثلك.

المهرج : يا إلهي، ها هي تشد الوثاق.

الكونتيس : كفى يا هذا، اذهب الآن إلى عملك. (تعطيه ورقة)، وسلّم هذه إلى هيلانة واستعجلها في الإجابة حالًا، أوصي أهلي وولدي بها.

المهرج : توصية حارة يا سيدتي.

الكونتيس : هذه مهمة صعبة، هل تفهمني؟

المهرج : لكنها مثمرة كثيراً.

الكونتيس : عد سريعاً.

(يخرج كل منهما)

المشهد الرابع

في القصر الملكي بباريس وسط قاعة العرش

يدخل برتران ولافو وبارول

لافو : يقال أن عصر المعجزات قد ذهب، ولدينا فلاسفة يؤكدون بكل بساطة أمورًا خارقة للطبيعة في أعجب القضايا ولا تقبل التأويل، وبهذا علينا أن نلجأ إلى ادعاء العلم بدلًا من أن نعترف بجهلها المريع.

بارول : أجل هذه أندر أعجوبة في عصرنا.

برتران : صحيح.

لافو : وبعد أن هجرنا أهل الفن.

بارول : هذا ما أقوله دائمًا عن أشهر العلماء نظير كاليان وبارلساز.

لافو : مع أنهم من أشهر العلماء وأفضلهم، فمن ذا الذى يقدر على قول غير هذا الذى أذكر.

باروول : لا أحد، هذا ما أؤكده بالذات.

لافو : لكن هذا يبعث على اليأس.

بارول : بالضبط كما أريد أن أقول.

لافو : أعني أن هذا جديد في الكون.

بارول : طبعًا، وإن أردت برهانًا على ذلك ما عليك إلا أن تقرأ في.......(يُقلب أوراق كتاب بيده)... بربّك ما اسم هذا الكتاب؟

لافو : "شرح القوة السماوية على سطح الكرة الأرضية".

بارول : هذا بالضبط ما أعنيه.

لافو : لعمري، وليّ العهد نفسه ليس أنشط من ناحية ....

بارول : أمر غريب جدًّا، فليس سوى العقول الفاسدة لا تعترف بأن ...

لافو : حتى سلطة السماء ذاتها.

بارول : أجل هذا ما أقوله.

لافو : وفي أسوا الاحتمالات ...

بارول : إن كل المسئولين يُظهرون رغبة سامية متزايدة، وفوق قدرة الملك ...

لافو : أتعترف بكل .....

بارول : هذا بالضبط ما أُريد قوله، كلماتك جواهر ثمينة، ها

هو ذا الملك.

(يدخل الملك ومعه هيلانة وبعض الخدم)

لافو : مهما كان سني، أقسم بشرفي بأني سأحب الصبايا بحرارة ومودة طالما في فمي أسنان، لكنى أحزن لأنه لا يجوز لمثلي أن يُراقص الصبايا؟

بارول : بذمتك، أليست هذه هيلانة؟

لافو : أجل هي بعينها.

الملك : أرسلوا في طلب جميع رجال الحاشية.

(يخرج أحد الخدم)

(إلى هيلانة).. اجلسي بقرب مريضك، والآن كلميني وأعلميني من الذي وقع عليه اختيارك له كزوج؟

(يدخل سادة عديدون ويصطفّون أمام العرش بينما لافو وبارون ينسحبان إلى صدر المسرح ليفسحا المجال للباقين)

الملك : أيتها الفتاة الحلوة، هيا انظري في هؤلاء الشبان النبلاء العازبين الذين يدينون لي بالطاعة والولاء، فلي عليهم سلطة مطلقة وفضل أبوي. اختاري منهم من تُريدين بحريّة، فذلك حقك عليّ، واعلمي أنه ليس لأحد منهم، بل ولا يجوز لأحد منهم أن يرفض.

هيلانة : ما أحلى أن تتيح لي فرص الحب منحا كبيرة بليغة

عظيمة، كما تعرض عليّ يا مولاي، إلا أن حبي واحد فقط.

لافو : (من صدر المسرح لبارول): أتنازل عن حصاني بسرجه ولجامه، وأحلق لحيتي وأقلع أسناني إذا كان حظي أقل من هؤلاء الشبان.

الملك : (لهيلانة): افحصيهم جيداً، فجميعهم من أصل نبيل.

هيلانة : أرى، يا مولاي، أن الله ردّ لجلالتك كامل صحتك.

الملك : أشعر بذلك، وأشكر المولى على هذه النعمة الغالية.

هيلانة : أنا عذراء بسيطة، وكل ثروتي كما أعلن هي عُذريتي، فإذا شئت يا صاحب الجلالة أنا على أتم الاستعداد للقبول بحكمك، رغم خجلي واحمرار وجنتي، الذي يهمس في أذني خجلاً ممن سأختاره، فإذا كان الرفض هو الجواب سيسود الشحوب القاتل محياي.

الملك : هيا اختاري، واعلمي جيداً أن من يرفض حبك يرفض مودّتي أنا بالذات.

هيلانة : الآن يا ديانا، اهرب من هيكلك إلى الحب الملكي، هذا الإله الطاغي الذي يكاد يرهق أنفاسي (لأول سيد): هل أنت مستعد يا سيدي أن تسمع طلبي؟

السيد الأول : وأن البّيه أيضاً.

هيلانة : أشكرك يا سيدي، لم يعد لدي ما أضيفه.

(تلتفت إلى السيد الثاني):

لافو : عليّ أن أجرّب حظي في اختيارها، وأن أُغامر بحياتي.

هيلانة : (للسيد الثاني): يا سيدي، إن الفخر الذي يبرق في عينيك الجميلتين قبل أن أتكلم، فتلك العاطفة المتواضعة التي تنطوي عليها أمنيتي، أتمنى أن يرفعها الحب عشرين مرة إلى أعلى.

السيد الثاني: لا أرجو أكثر من ذلك، إذا كنت راضية.

هيلانة : أملي أن تقبل رجائي، لذا أستأذنك بالانصراف.

لافو : (لبارول): هل رفضها الجميع؟ لو كانوا أبنائي لأمرت بجلدهم، وأرسلتهم إلى التتري ليجعل منهم خصياناً.

هيلانة : (للسيد الثالث): لا تفزع إذا تناولت يدك، أنا أقدرك كثيراً، أسأل الله أن يحقق رغباتك وأرجو لك عروساً أفضل مني.

لافو : هؤلاء الفتيان قلوبهم من حجر مُتبلد؛ إذ لم يقبلها أحد منهم، لا شك في أنهم جميعاً ليسوا أولاداً شرعيين.

هيلانة : (للسيد الرابع): أنت صغير السن ونبيل جداً، ولا ترضى بأن يكون لك ولد من لحمي ودمي.

السيد الرابع : أنا لا أفكر هكذا أيتها الصبية الرائعة.

لافو : (يشير إلى برتران): لا يزال في العنقود حبات من حب عنب، اعتقد بأن هذا الشاب يشرب الخمر كما كان أبوه؛ لأني اعرفه جيداً.

هيلانة : (لبرتران): لا اجرؤ على القول أني أختارك، لكني اقبل بأن أخدمك طوال عمري، واخضع لسلطتك المطلقة، هذا هو الرجل الذي أريده.

الملك : هيا أيها الفتى برتران، خذها فهي زوجتك.

برتران : زوجتي انا يا مولاي؟ التمس من جلالتك أن تجعلني أختار من تستلطفها عيناي.

الملك : أولا تعرف ما قدمته إليّ هذه الصبية؟

برتران : أعرفُ، ولكني لا أعلم لما انا الذى يجب علي أن أقترن بها.

الملك : أَوَلا تعرف أنها أبرأتني، وانتشلتني من بين فكي الموت.

برتران : فقط لأجل ذلك، يا مولاي، يتحتم علي أن أقع أنا، إني أعرفها جيداً؛ لأنها تثقفت على نفقة أبي، أتريد ابنة طبيب فقير أن تصبح زوجتي؟ لن أسمح لأية شقية مثلها أن تهبط بي إلى حيث هي.

الملك : أنا مستعد لأن أمنحها اللقب الذي يجعلها من مقامك، أمر غريب أن نعتبر دماءنا مختلفة باللون والمُستوى، فهي فوارق نُقيمها نحن أحياناً، إن كنت تأنف من الاقتران

بهذه الفتاة لمجرد كونها ابنة طبيب فقير فأنت مخطئ،
لا تتصرف هكذا، فعندما تكون الأعمال جليلة وإن كانت
من مستوى متواضع ترفع صاحبها إلى أعلى المراتب؛ لأن
الخصال الحميدة تعلي شأن من يتصف بها كائنًا من
كان، كما أن الشر يذل فاعله وإن كان من أنبل النبلاء.
هي صبية عاقلة وجميلة، وهو شرف لها، ومن يدعي بأنه
سليل المجد ولا يشبه أباه الكريم فالنبل منه براء، أعمالنا
هي التي تصنعنا لا أمجاد أجدادنا، فإن كانت العفة
تعجبك في هذه العذراء فأنا قادر على جعلها تليق بك
لأن فضيلتها وشخصيتها لأكبر دليل تأتيك به.

برتران : لا يسعني أن أحبها.

الملك : ستندم إذا لم توافق على تلبية طلبي.

هيلانة : يكفيني يا مولاي أن أكون سعيدة بشفائك، ولا أريد أن
أفكر بغير ذلك.

الملك : أصبحت هيبتي في الميدان، وعليّ أن أنقذها، هيا خذْ يدها
أيها الفتى المستهتر، إنك تتجاسر على مُعارضتي بوقاحة،
ولا تقيم وزنًا لنصيحتي النزيهة، أنت تتجاهل ما يُمكنني
أن أفعله بأمجادك مقابل ما أنوي أن أخلعه عليها من
تقدير وهبات، فأخضِعْ إرادتك لمشيئتي، لا تصغ إلى غرور

كبريائك، بل انظر إليّ ، وإلا حجبت عنك رعايتي وعرّضت مستقبلك وشبابك لمساوئ أنت في غنى عنها ؛ لأن غضبي سيحرمك من عدلي ومن عطفي، هيا تكلم وقل لي حالًا ما هو قرارك النهائي؟

برتران : اعذرني يا مولاي، لا يمكنني إلا أن أطيع أمرك؛ لأني أعرف مدى المهانة والإذلال الذي سيلحق بي إذا خرجت عن طاعتك يا صاحب الجلالة.

الملك : تناول يدها إذًا، وأعلن قبولها زوجة لك، وأنا أعدها بثروة ولقب بمستوى مرتبتك.

برتران : ها أنا أفعل وآخذ يدها.

الملك : ما أسعدك؛ لأنك فعلت أخيرًا ما أريده، هذا العهد سيكون هذه الليلة في حفلة فاخرة، أما وليمة العرس فتقام حين يحضر الفرسان الغائبون.

(يخرج الملك وبرتران وهيلانة والسادة والخدم):

لافو : (لبارول): اسمع يا سيدي هذه الكلمة.

بارول : ماذا تريد يا سيدي.

لافو : حسنًا فعل مولاك بانصرافه.

بارول : انصراف أم انسحاب مولاي؟

لافو : هل أتحدث بلغة غير مفهومة؟

بارول : بل بلغة قاسية لا تتكلم إلا بلغة الدماء، تقول: مولاي؟

لافو : وهل أنت تساوي كونت روسيون؟

بارول : عن أي كونت تتكلم؟ عن أي رجل كان؟

لافو : عن أي شخص لقبه كونت، وهل رفيق الكونت من طينة أخرى.

بارول : أنت متقدم في السن يا سيدي، وهذا يكفي دليلًا على ما تقول.

لافو : أؤكد لك أيها المخادع، فأثناء لقائي بك على المائدة مرتين ظننتك فتى عاقلا، والآن اهتديت إليك؛ لأنك تميل إلى الشجاعة، فإن غبت أنت عنا استطعت أن تُعيد الكرة في أية لحظة ولن يأسف أحد على غيابك.

بارول : ولو لم تكن في نظري من ذوي الصفات الحميدة القديمة.

لافو : لا تستسلم إلى الغضب لئلا تجرفك أهواؤك، إياك أن تستسلم أيضًا إلى الحسد والغدر، وداعًا، أنا لست بحاجة لأن أفتح لك قلبي، فأنا أرى ... أعطني يدك.

بارول : تستحق أكثر من ذلك يا سيدي، أنا لم أفعل ما يستوجب تأنيبك يا سيدي.

لافو : أجل، فإني غير مستعد للتراجع عن موقفي.

بارول : هذا درس قاسٍ لي.

لافو : استفد منه إذًا لكي يتسنى لي أن أقول عند الحاجة: "هذا رجل أعرف بواطنه كما يجب".

بارول : أنت تغيظني.

لافو : لكم كنت أود أن يكون عذاب الجحيم من نصيبك، وأن أفرضه عليك إلى الأبد، لكن لم يعد لي من قوة، لذا أتركك بما تسمح لي شيخوختي من السرعة. (يخرج)

بارول : أقسم بحياتي أني سأؤنبه حالما أصادفه مهما كان مقامه رفيعًا، ولن أرحم شيخوخته، أجل سأوبخه حالما أصادفه.

(يدخل لافو)

لافو : يا محتال، سيدك قد تزوج، فهل بلغك هذا النبأ أم لا؟

بارول : أرجو منك سيدى أن تجنبني هذه الإهانة، أجل يا سيدي.

لافو : يخيل إليّ أن وجودك هنا فضيحة وأعتقد بأنك خلقت لتكون أضحوكة الجميع.

بارول : هذه معاملة قاسية جدًا ولا أستحقها يا مولاي.

لافو : ما هذا الكلام؟ لقد كان نصيبك الضرب في إيطاليا لأنك اختلست رمّانة، إنك متشرد، أنت ترافق السادة

وصفوة الناس الكرماء، لذلك تستحق كل كلمة لوم وعتاب وتستوجب اعتبارك دجالًا، ها أنا أغادرك.

(يخرج)

(يدخل برتران)

بارول : جيد جدًا، هكذا تسير الأمور على ما يرام.

برتران : هل حكم علي بحمل الهموم إلى الأبد؟

بارول : ماذا دهاك يا عزيزي؟

برتران : مهما أقسمت من أيمان، فلن أقبلها كزوجة.

بارول : ماذا تقول؟!!

برتران : لقد زفوني قسرًا، فأنا ذاهب إلى الحرب في توسكانا، ولن أقبل بها مطلقًا كزوجة.

بارول : هيا إلى الحرب.

برتران : هذه رسائل من والدتي ولا أدري ما هو مضمونها؛ لأني لم أقرأها بعد.

بارول : عليك أن تطلّع عليها، هيا إلى الحرب.

يا ولدي، من يبقى في بيته ليعانق زوجته الشرعية، وبدلًا من أن يساند أبطال الحرب يدفن شرفه في التبن، وفي معظم أنحاء فرنسا نعيش كالبهائم كما لو كنا في إسطبل، أوليس الأولى بنا إذًا أن نمضي إلى الحرب؟

برتران : اجل، هذا واجب، سأرسل زوجتي المزعومة إلى بيتنا، وسأخبر امّي بكرهي لهذه الفتاة، سأكتب إلى الملك ما لم اجرؤ على مصارحته به.

بارول : هل انت واثق مما تقول؟

برتران : تعال معي لتزويدي بنصائحك، أريد أن أرسلها في الحال، وغداً نذهب؛ أنا إلى الحرب، وأنت إلى عزلتك الكئيبة.

بارول : هذه فكرة رائعة أقدرها كثيراً، إذاً، سأتخلّى عنها بشجاعة، هيا، الملك غاظك بهذا التصرف ولا حيلة لك إزاءه سوى الصمت؛ إذ لا سبيل إلى تغيير حرف من هذا الحال.

(يخرجان)

المشهد الخامس

في مكان آخر من القصر

تدخل هيلانة وفي يدها رسالة ثم يدخل المهرج

هيلانة : والدتي تتكلم معي بلسان الحنان، أرجو أن تكون بخير.

المهرج : مسرورة، لكنها ليست بسعيدة، فهي لا ينقصها شيء في الدنيا. لكنها مع ذلك ليست على ما يرام.

هيلانة : إن كانت بألف خير فلِمَا هي على تلك الحال؟ لما لا يبدو عليها السعادة؟

المهرج : في الحقيقة هي لا ينقصها سوى أمرين.

هيلانة : الأول أنها ليست بالجنة حيث يشاء الله أن يسكنها قريبًا، والآخر أنها لا تزال على الأرض حيث يريد الله أن يلقاها بجواره.

(يدخل بارول)

بارول : أدام الله عليك البركة يا سيدتي الطيبة.

هيلانة : شكرًا يا سيدي على طيب لُطفك وحنانك.

بارول : أتمنى أن تزيد أفراحك. (للمهرج): أهذا أنت يا مغفل؟

كيف حال سيدتي العجوز؟

المهرج : آمل ان تُزيل تجاعيد وجهها بتلك الحماقات التي كثيرًا ما نملأ بها أشداقنا يا لها من تفاهات، من مُغفل، أحمق.

بارول : أنا لم أنبس ببنت شفة.

المهرج : يا ويحي، فأنت لست عاقلا كما كنت أظن، فغالبًا لسان المرء ما يرمي بصاحبه في المهالك.

بارول : إلى الوراء، أيها المحتال الدجال، وإني لقدير أن اكشفكَ على حقيقتك.

المهرج : من الأولى يا مولاي أن تقول لي أني دجال أواجه دجالًا، وعلى العموم لقد لفظت بالصواب يا مولاي.

ولكن، أو لم يكلفك أحد بالبحث عني كي تكشفني؟ فالبحث قد يكشف لك جنونك المتغلغل في أعماقك، وأغوار قلبك الخبيث الذى طالما هو على تلك الحالة التي تفرح جميع الناس، وتزيد سخرياتهم وضحكاتهم.

بارول : أنت مغفل حقًا، فسيدى يُريد الرحيل هذا المساء يا سيدتي؛ لأن قضية هامة تستدعيه، فصبرًا.

هيلانة : وماذا يريد أيضًا؟

بارول : أن تستأذني الملك حالًا بالانصراف، وأن تظهري هذا

الرحيل المفاجئ، وكأنه عمل نابع من محض إرادتك.

هيلانة : وماذا بعد ذلك؟

بارول : أن تنتظري تعليماته اللاحقة.

هيلانة : على كل حال أنا رهن إشارته.

بارول : شكرًا لك يا سيدتي.

هيلانة : (للمهرج): تعال معي يا مغفل.

(يخرجان)

المشهد السادس

في ناحية أخرى من القصر

يدخل لافو وبرتران

لافو : لا تنظر إليه هكذا وكأنه جندي بسيط.

برتران : بل كجندي عالي الهمة ذي خبرة ودراية.

لافو : إذًا قد أكون على خطأ إن كنت أظن أنه نسر لا صقر.

برتران : أؤكد لك يا مولاي أنه رجل ذو علم واسع وكفاءة ضئيلة.

لافو: إذًا أنا مقصر بحقه، ها هو ذا آتٍ، أرجوك أن تصالحنا لأني أروم صداقته. (يدخل بارول).

بارول : (لبرتران بصوت خافت): سيتم كل شيء كما يرنو لك يا مولاي.

لافو : إنه بالطبع عامل ماهر وخياط بارع.

برتران : (لبارول بصوت خافت): سيتم كل شيء كما يرنو لك يا مولاى..

لافو : سيدي، من هو خياطك؟

بارول : ماذا قلت؟

لافو : أجل يا سيدي، أنا أعرفه جيداً، هو بالطبع عامل ماهر وخياط بارع.

برتران : (لبارول بصوت خافت): هل أبصرت الملك؟

بارول : نعم.

برتران : هل هي راحلة هذا المساء؟

بارول : كما تشاء سيادتك.

برتران : كتبت رسائلي، وأصدرت الأمر بإعداد الجياد، وحين أحصل على العروس أنهي المسألة قبل أن أبدأ.

لافو : هذا ما يفعله المسافر الشريف دائماً. (لبارول): حفظك الله أيها القائد الهمام.

برتران : (لبارول): لما كل هذا النفور الذى بينك وبين هذا السيد يا مولاي؟

بارول : لا أدري ما يجب علي أن أفعله كي أستطيع أن أنال المكانة في عيني هذا السيد.

لافو : لقد تملكت قلبه بخبرتك، فأنصحك أن تُسرع كي لا يسألك كيف وقعت فيه.

برتران : (للافو): ربما لم تقدره حق قدره يا مولاي.

لافو : هذا ما يحدث لي دائما عندما أفاجئه وهو يصلّي، الوداع

يـا سيدي، صدقني، إن شخـصية هـذا الرجـل في ثيابـه، فـلا تتكل عليـه في أيـة عمليـة، ولقـد جربتـه هـو وسـواه وعرفـت طبعه. (لبـارول): الـوداع، يـا سيـدي، لا بـد لنـا مـن أن نقابـل الشر بالخير. (يخرج)

بارول : اقسم لك أن عقل هذا السيد غير مكتمل.

برتران : على ما أظن.

بارول : ألا تعرفه؟

برتران : أعرفـه جيـدًا، والجميـع هنـا يُحبـه، هـا هـي السلسـة الـتي تقيدني.

(تدخل هيلانة)

هيلانة : لقـد حـصلت علـى إذن الملـك بالرحيـل فـورًا، وهـو يريـد محادثتك.

برتران : لا تـستغربي سـلوكي يـا هيلانـة، أنـا لم أكـن مهيـأ لمثـل هذا الحدث الهام، لذا تـرينني هكـذا مـضطربًا، والآن فقـط أرجـوك للعـودة حـالًا إلى مقـرك، فأوجـدي لنفـسك قبـل غيرك حجة هذا الالتماس. (يسلمها ورقة): هذه لوالـدتي، سيمضي يومان قبـل أن أشـاهدك مـن جديـد؛ لـذا أتـركك تتصرفين بحكمتك.

هيلانة : كل ما يسعني هو انى خادمتك الأمينـة الـتي تكنّ لـك

كل احترام.

برتران : كفى تبجيلاً.

هيلانة : لقد خانني الحظ ولم أعد قادرة على مواصلة السعي.

برتران : اتركي هذا.. إلى اللقاء.

هيلانة : أرجوك يا مولاي أن تعذرني.

برتران : ماذا تقولي.

هيلانة : أنا لا أستحق الكنز الذي حصلت عليه، ولا أجرؤ على قول هذا مع أنه في الواقع يخصني.

برتران : ماذا تقصدين؟

هيلانة : أمر ما، بل بالأحرى لا أريد أن أعلمك يا سيدي بما تصبو نفسي إليه، إنما الغرباء والأعداء وحدهم يفترقون بدون أن يتعانقوا.

برتران : لا تتأخري، أرجوك، هيا إلى حصانك، اسرعي.

هيلانة : لن أخالف أمرك أبدًا يا مولاي.

برتران : (لبارول): أين سائر رجالي يا سيدي؟ (لهيلانة): الوداع. (تخرج هيلانة) اذهبي، هيا عودي إلى بيتي، أما أنا فلن أرجع إليه أبدًا طالما استطعت أن أرفع سيفي.

بارول : تشجع، عافاك المولى.

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

في فلورنسا داخل قصر الدوق

تصدح الموسيقى، يدخل دوق فلورنسا مع حاشيته ثم اثنان من السادة الفرنسيين وعدد من المرافقين

الدوق : هكذا تكون أسباب هذه الحرب الأساسية التى أسالت ولا تزال تسيل نهرًا من الدماء.

السيد الأول : هذه الحرب تبدو ظالمة وفتاكة يشنها العدو علينا بضراوة.

الدوق : لذلك أنا مدهوش جدًا أن لا يُساعدنا ابن عمنا ملك فرنسا لإغاثتنا في قضيتنا العادلة هذه.

السيد الثاني: يا مولاي الكريم، أنا لا أستطيع أن أصارحك بما يجول في فكري؛ لأني وجدت نفسي في هذا المأزق الغارق في الفوضى وقد خابت جميع آمالي.

الدوق : دعوا الملك يتصرف على هواه.

السيد الثاني: لكني على ثقة بأن نخبة من شبابنا سيعثرون هنا على

الدواء اللازم لمعالجة هذا الوضع المتردي.

الدوق : أهلًا بهم وسأحيطهم بكل الإكرام، فإلى الغد أيها الشجعان، في السهل ملتقى البطولة والانتصار.

(تصدح الموسيقى ويخرجون)

المشهد الثاني

في قصر كونت روسيون

تدخل الكونتيس والمهرج

الكونتيس : كل شيء على ما يُرام، فقط لم يأتِ معها إلى هنا.

المهرج : بشرفي، أرى سيدتي الشابة شديدة الكآبة.

الكونتيس : كيف عرفت ذلك؟

المهرج : لأنه كثيرًا ما يفعل الأمر ويدمدم، وأنا أعرف رجلًا بهذا المزاج الغريب باع قصره الرائع لقاء أغنية.

الكونتيس : (تفتح الورقة المطوية): لننظر ماذا يكتب لي.

المهرج : لم أعد أميل إلى إيزابو منذ أن حضرت إلى هنا؛ لأن إله الحب في نظري قد فقد عقله، فبدأت أهوى بلا حماس مقابل رجل عجوز يُحب المال.

الكونتيس : ماذا أرى هنا؟

المهرج : ما تقع عليه عيناك.

(يخرج).

الكونتيس : (تقرأ): "أرسل لك نبذة عن تلك التي أنقذت حياة

الملك وأتلفتْ حياتي، تزوجتها لكني لم أمتلكها، وأقسمت على أن لا أقدم على ذلك ما دمت حيًا، فإني قد هربت، لذا أحببت أن أطلعك أنا بنفسي على الأمر قبل أن ينقله الناس إليك كما يحلو لهم.

"بكل محبة واحترام، ولدك التعيس".

برتران.

لقد أخطأت أيها الطائش بفرارك من أفضال الملك الكريم، ويجلب غضبه على رأسك.

(يدخل المهرج)

المهرج : يا سيدتي ماذا هنا في هذه الرسالة، أنذير شؤم، أم نذير خير؟؟؟!!!!!

الكونتيس : ما الخبر؟

المهرج : على كل حال، فابنك لن يُقتل على ما أعتقد.

الكونتيس : وما الذى ينقذه من القتل يا ترى؟

المهرج : لن يُقتل يا سيدتي إن بقى هاربًا، ما هذا؟ ماذا هناك؟ فها هم بعض القادمين قد أتوا ليخبروك ما حدث بالتفاصيل، أنا من جهتي أعلم فقط أن ولدك قد هرب. هرب. (يخرج).

(تدخل هيلانة ووجيهان)

الوجيه الأول: (للكونتيس): حفظك الله يا سيدتي.

هيلانة : يبدو يا سيدتي أن مولاي قد ذهب نهائيًا.

الوجيه الثاني: لا تقولي ذلك.

الكونتيس : اعتصمي بالصبر، عذرًا يا سادة، أرجوك ان تقول لي أين ولدي؟

الوجيه الثاني: لقد ذهب يا سيدتي ليخدم دوق فلورنسا، وقد صادفناه في الطريق.

هيلانة : انظري إلى هذه الرسالة يا سيدتي. (تقرأ): "عندما تستلمين الخاتم الذي أضعه في إصبعي والذي لن يفارقه أبدًا، وعندما تُريني ولدًا أنجبته من أحشائك وأكون أنا أباه، حينئذ يمكنك أن تعتبريني زوجك، لكن حتى ذلك الحين لن أكون رجلك أبدًا".

الكونتيس : هل جئت بهذه الرسالة من ولدي؟

الوجيه الأول: نعم يا سيدتي.

الكونتيس : أرجوك يا هيلانة العزيزة أن تتشجعي، لقد كان ابني، لكني أنكرت من الآن انتماءه إليّ، فأنت من الآن وصاعدًا ابنتي الوحيدة.

الوجيه الثاني : نعم يا سيدتي.

الكونتيس : لقد ذهب يا سيدتي ليخدم دوق فلورنسا في سلك

الجندية.

الوجيه الثاني: هذه رغبته السامية، وسيحيطه الدوق بكل الإكرام.

الكونتيس : هل أنتما راجعان؟

الوجيه الأول: أجل يا سيدتي، على جناح العجلة.

هيلانة : (تقرأ): "إلى أن لا يعود لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا أي شيء".

الكونتيس : هل هذا هو المكتوب في الرسالة؟

هيلانة : نعم، يا سيدتي.

الوجيه الأول: هذه ليست سوى فورة غضب لن يطاوعه قلبه على استمرارها.

الكونتيس : إن كانت في الدنيا مخلوق أفضل من ابني فهي حتمًا هذه الصبية الممتازة، من كان برفقته عندما رأيته؟

الوجيه الأول: خادم فقط، ووجيه عرفته فيما مضى.

الكونتيس : هو حتمًا السيد بارول، أليس كذلك؟

الوجيه الأول: أجل يا سيدتي، هو نفسه.

الكونتيس : وهو شخص غبي سافل، يورّط ابني في حماقات لا شأن له فيها.

الوجيه الأول: بالفعل يا سيدتي.

الكونتيس : يا سيدي، أرجوك عندما تقابل ولدي أن تعلمه بأن

السيف لا يسترد الشرف المفقود، وأن تسلمه الرسالة التي سأعطيك إياها.

الوجيه الثاني: نحن رهن إشارتك.

الكونتيس : أشكر لطفكما.

(تخرج الكونتيس ويتبعها الوجيهان):

هيلانة : (وحدها): "إلى أن لا يبقى لي من زوجة، لن تبقى لك زوجة يا روسيون في فرنسا، فاستردّ إذًا جميع حقوقك؛ لأني طردتك من بلدك، لأني أبعدتك عن مرح البلاط.. أيها الرصاص الأعمى، أغلق وراءك الهواء الذي تشقه عواصفك بلا انقطاع ولا تمسّ سيدي بسوء، أنا الحقيرة حرضته على ذلك..

لا، لا يجب أن تعود إلي بيتك يا روسيون، غادرة هذه الحرب، أريد أن أرحل، لأن حضوري يبعدك عن أهلك، اقترب أيها الليل، وغب أيها النهار؛ لأني أود أن أتسلل كالسارقة وأختفي في أحلك الظلمات الفاحمة.

(تخرج):

المشهد الثالث

في معسكر أمام فلورنسا

تصدح الموسيقى، يدخل دوق فلورنسا وبرتران وسادة وضباط وجنود وغيرهم.

الدوق : (لبرتران): أنت قائد فرساننا، وركن هام يحقق آمالنا، ونحن مستعدون لتلبية كل ما تريده منا.

برتران : هذا شرف لنا على كل حال، سنسعى لمساندتك.

الدوق : أملي أن يحالف الحظ سيوفنا ويقودنا إلى النصر المجيد.

المشهد الرابع

في قصر كونت روسيون

تدخل الكونتيس ووكيل الصرف

الكونتيس : يا لك من رجل، يا للأسف، لماذا حملت هذه الرسالة إليّ؟ ألم تتوقع ما بها؟

وكيل الصرف : "أنا ذاهبة لزيارة أحد المعابد لأطلب الغفران لذنب قد ارتكبته، اكتبي يا سيدتي إليّ حين يعود ولدك، ويعود إليك سيداً عزيزاً بأقرب وقت، أتمنّى له السعادة تحت سقف بيتك وفي رعايتك، بينما أنا أقدس اسمه بخشوع وهيام، اطلبي منه أن يسامحني على ما سببته له من متاعب، فقد قررت الانسحاب من دنياه نهائياً مهما كانت المخاطر وويلات العذاب، هو طيب القلب وأنا أحرره من وثاق الزواج".

الكونتيس : كم من الألم والشقاء بين طيات ذلك الكتاب الرقيق من قلب جريح، أنت يا بني، لو كنت قد تحدثت إليها

لأقنعتها بالعدول عن مشروعها الأليم لكنها لم تترك لي مجالًا لإبقائها عندي كما اتمنى.

وكيل الصرف :عذرًا يا سيدتي، كان علي أن أسلمك رسالته قبل هبوط الليل، لكنها كانت قد كتبت أن لا شيء ينفع بعد فوات الأوان.

الكونتيس : أي بر سيحمي هذا الزوج العاق الذى لا يمكن أن يكون إلا بفضل صلوات هيلانة؟ فأسأل الله أن يستجيب دعاءها وأن يسامحه على ضلاله. اكتب يا رينالدو، إلى هذا الزوج الغبي الذي لا يستحق هذه المرأة المباركة، وبيّن له سخيف أقواله وأفعاله، وأنه أدمى فؤادي بتصرفه الأهوج.

عجل في تسليمه هذه الرسالة؛ لأنه عندما يعلم برحيلها قد يعود إليّ، وآمل أن تعود هي أيضًا.. أرجو أن تعجل في إيصال هذه الرسالة إليه؛ لأن قلبي مثقل بالهموم، ولم أعد اتحمل ذرف الدموع السخينة وسهر الليالي، ولا يدفعني إلى هذه البادرة إلا قلقي على مصير الاثنين معًا.

المشهد الخامس

عند أسوار فلورنسا

يسمع وقع مسيرة عسكرية بعيدة، تدخل أرملة عجوز من فلورنسا ثم ديانا وفيولنتا ومريانا وبعض الأشخاص.

الأرملة : إذا اقترب هؤلاء الجنود من المدينة نخسر جمال الطبيعة الذي نتمتع به.

ديانا : يقال أن الكونت الفرنسي قد أدّى لنا خدمات جليلة.

الأرملة : سمعت قولًا: أنه أسر قائدًا من الأعداء، وأنه بيده قتل شقيق الدوق المتمرد، لقد أضاعوا جهودنا، أنصتوا، ألا يمكن التعرف عليهم من أصوات أبواقهم؟

مريانا : هيّا بنا لنرجع، صدقيني يا ديانا واحذري هذا الكونت الفرنسي، فشرف العذراء هو ميزتها، وهو ليس إرثًا يعوّض ويكتسب مثل الفضيلة.

الأرملة : أخبرت جارتي كيف أراد أحد الوجهاء من مرافقيك أن يستميلك.

مريانا : أنا أعرف هذا اللعين بارول، متآمر دساس يعمل لحساب

الكونت، احذريهم يا ديانا، فقد ذهبت فتيات عديدات ضحايا غوايتهم ومكرهم، وأنا في غنى على ما أعتقد عن قول المزيد بهذا المعنى، إنما النعمة التي تملكينها ستحفظك من كل شر، إذا لم تتعرضي لخطر سوى خسارة وداعتك.

ديانا : لا داعي للخوف عليّ.

(تدخل هيلانة متنكرة وملثمة بشال)

الأرملة : أرجو ذلك من كل قلبي، ها هي الملثمة تقترب منا، وأنا واثقة بأنها ترغب في السكن عندي، دعيني أستجوبها. (لهيلانة): حفظك الله يا سيدتي، إلى أين أنت ذاهبة؟

هيلانة : إلى المعبد، قولي لي من فضلك، أين يبيت الزائرون.

الأرملة : في النزل القريب، بجوار باب المدينة. وذا هو الدرب الذي نراه أمامنا. (تسمع مشية عسكرية بعيدة): اسمعي، ها هم الجنود قادمون. فإذا شئت أن تنتظري مرورهم رافقتك إلى هناك؛ إذ إني لحسن حظك أعرف صاحبة النزل المذكور.

هيلانة : هل أنت صاحبته؟

الأرملة : إذا لم يزعجك ذلك.

هيلانة : شكرًا، سأنتظرك.

الأرملة : هل أنت قادمة من فرنسا؟

هيلانة : أجل يا سيدتي.

الأرملة : ستشاهدين هنا أحد أبناء بلدك، وقد أدّى لنا خدمات جليلة.

هيلانة : أرجوك أن تقولي لي ما اسمه؟

ديانا : كونت روسيون، هل تعرفينه؟

هيلانة : بلى، إنه أحد النبلاء الشبان، لكني لم أره أبدًا.

ديانا : مهما كان، هو فتى مشكور السلوك، هرب من فرنسا على ما يقال لأن الملك أرغمه على الزواج، هل تصدقين هذا الخبر الغريب؟

هيلانة : نعم، بالطبع، هذه هي الحقيقة؛ لأني أعرف زوجته.

ديانا : وفي خدمة الكونت وجيه يصفها بأقبح النعوت.

هيلانة : ما اسمه من فضلك؟

ديانا : السيد بارول.

هيلانة : أنا من رأيه؛ لأنها إذا قورنت بالكونت لا يوجد فيها ما يستحق الذكر، ولم أسمع أحدًا ينفي ما تتصف به.

ديانا : يا للأسف يا سيدتي، أرى أن زواج امرأة برجل لا يحبها هي عبودية لا تطاق.

الأرملة : لهفي عليها، ستكون كسيرة القلب (تشير إلى ديانا)،

هذه الفتاة تستطيع أن تقوم حيالها بدور فعّال، إذا شاءت.

هيلانة : ماذا تقولين؟ هل تظنين أن الكونت العاشق يتمناها كغنيمة غير شرعية.

الأرملة : أجل؛ لأنه لجأ إلى من يتمكنون من إغرائها لتجود عليهم بمتعة يرجونها من فتاة مثلها، لكنها علمت بمآربهم فرفضت كل عروضهم حفاظًا على عفتها.

(يدخل حملة طبول وهم يقرعونها، وحملة أعلام خفاقة، وفرقة من الجيش الفلورنسي بينهم برتران وبارول)

مريانا : حفظها الله من كل أذى.

الأرملة : ها قد وصل الجنود، فهذا هو أنطونيو ابن الدوق البكر، وذاك هو اسكالوس.

هيلانة : شاب رائع.

ديانا : لكنه وللأسف غير شريف.(تشير إلى بارول): وهذا من يجرّه إلى الفساد، لو كنت زوجة هذا الخسيس لدسست له السم بلا تردد.

مريانا : لا بدّ من أن يكون مستاءً من أمر ما، أنظريه.

الأرملة : تبًّا لك (تنحني احترامًا لبارول).

مريانا : (للأرملة): تبًّا لك، هذا فاسق دنيء.

(يخرج برتران وبارول مع الجنود)

الأرملة : لقد مرّ الجنود، تعالي إذًا أيتها الزائرة لأدلّك على نزلك.

هيلانة : أشكرك بكل تواضع. (تشير إلى مريانا وديانا): ستتعشيان الليلة معنا، فأنا أتكفّل بجميع النفقات، ولكي أقوم بما يجب علي بصورة أفضل أزوّد هذه العذراء الشابة ببعض نصائحي الصائبة.

مريانا وديانا: نقبل دعوتك بطيبة خاطر.

المشهد السادس

في المعسكر الفلورنسي

يدخل برتران واثنان من السادة الفرنسيين

السيد الأول : هيا يا سيدي العزيز، دعه يتصرف على هواه، أقسم بحياتي يا مولاي، إن هذه قشطة صافية.

برتران : أتظنني مغشوشًا به إلى هذا الحد.

السيد الأول : صدقني يا سيدي، إني أقول لك ما أعرفه بصراحة، هذا محتال جبان ومنافق لا ينقطع عن الكذب والخداع، لا يستحق ما تُحيطه به يا سيدي من رعاية.

السيد الثاني: من الأفضل أن تعرفه وإلا تخلّى عنك وأنت في أمسّ الحاجة إليه.

السيد الثاني: أوليس ذلك أولى من أن ندعه يذهب؟

السيد الأول : أنا أترأس فرقة من الفلورنسيين، وأتعهد بأن أباغته على حين غرة، لذلك سأتكل على من هم أهل للثقة، فنوثقه ونعصب عينيه ثم نقوده إلى خيامنا، ولك استجوابه.

السيد الثاني: دعه يأتي بطبله وحينها ترى سيادتك من أي معدن هو الذي يظن نفسه أنه من الذهب الخالص، يكون تقديرك إياه في غير محله، ولا يوجد لعلته دواء، ها هو ذا.

(يدخل بارول)

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت): دعنا نضحك قليلاً، ولا تعترض، فليذهب على كل حال لجلب طبله.

برتران : (لبارول): يظهر، يا سيدي، إن هذا الطبل عزيز جداً على قلبك.

السيد الثاني: لا تفكر بالأمر كثيراً، فما هي إلا كونها مسألة طبل ليس إلا.

بارول : يا لها من قضية جوهرية شغلت محمل الفرسان غالبية جنودنا.

السيد الثاني: القائد الذي كان يقود المعركة غير مُلام على فقدان هذا الطبل الذي يُعدّ كارثة حربية.

برتران : صحيح أن خسارة هذا الطبل لا تشرفنا، إنما لا سبيل إلى الاهتداء إليه.

بارول : بل كان هذا ممكناً.

برتران : كان، لكنه صار الآن مستحيلاً.

بارول : لا، لا، لا يزال ممكناً، إذا لم يكن أصحاب الأعمال الباهرة

نادرين، سأسترد هذا الطبل بطريقة عجيبة، مهما كان، سأقوم بهذه التجربة كإنجاز نبيل، وإذا نجحت فسيشكرك الدوق ويكافئك.

بارول : أقسم لك أني سأنفذ ذلك على أكمل وجه.

برتران : لكن لن يبقى لك وقت للنوم.

بارول : سأبدأ منذ هذه اللحظة لتدبير العمل، وحتى منتصف الليل لا بد من أن تبلغك أخباري السارة.

برتران : هل يسعني إعلام سيادته برحلتك الجريئة؟

بارول : أنا أجهل مدى نجاحي يا مولاي، إنما أعاهدك على محاولتي بدون كلل للوصول إلى ما نصبو إليه.

برتران : أنا أعرف علو همتك وأقدر مهارتك، فإلى اللقاء.

بارول : أنا لا أحب كثرة الكلام.

(يخرج).

السيد الأول : أولا يكون هذا الفتى مقدامًا عندما يتكفّل بتأمين مثل هذه المهمة التي تفوق طاقته ويتحمل مسئوليتها.

السيد الثاني: أنت لا تعرفه يا سيدي كما أعرفه أنا الواثق ببراعته، فحين نكتشفه على حقيقته يظل على الدوام تحت رحمتنا.

برتران : هل تصدّق أنه لن يفعل شيئًا من كل ما وعد؟

السيد الأول : أبدًا، سيعود باختلاقات يدعمها بالكذب والغش كعادته، لكننا له بالمرصاد، وهذه الليلة سينكشف أمره ويقع في الفخ؛ لأنه لا يستحق عطف سيادتك.

السيد الثاني: سنتسلى بمطاردته كالثعلب، فلقد نال نصيبه من تأنيب السيد لافو، وعندما سنسلخ جلده عن لحمه النجس ستلمس دَجَله اللعين المتربص بنا.

السيد الأول : عليّ أن أذهب وأهيئ شركي لكي نوقعه فيه.

برتران : لا بد لشقيقك من مرافقتي.

السيد الأول : كما تشاء يا صاحب السيادة، تركتك بخير.

(يخرج)

برتران : الآن آخذك إلى البيت وأريك الفتاة التي حدثتك عنها.

السيد الثاني: تقول لي أنها صبية شريفة.

برتران : هذه علتها الوحيدة، فقد كلمتها مرة، فأرسلت إليها مع هذا المغرور الذي نراقبه هدايا ورسائل، فردتها لي.. ألا تريد أن تصحبني لمشاهدتها؟

السيد الثاني: بكل سرور يا مولاي.

(يخرجان)

المشهد السابع

في فلورنسا داخل بيت الأرملة

تدخل هيلانة والأرملة

هيلانة : إذا كنت لا تزالين تشكين بأني زوجته كيف أقنعك.

الأرملة : مهما كانت خسارة ثروتي، لذا لا أريد تشويه سمعتي بعمل مشين.

هيلانة : وأنا لن أطلب منك ذلكِ أبدًا، ثقي أولًا بأنه زوجي، وأن المساندة التي أطلبها منك لا يمكن أن تؤول إلى الفشل.

الأرملة : علي أن أصدقك؛ لأنك أثبت لي أن حظك كبير في النجاح.

هيلانة : خذي هذا الكيس المحشو ذهبًا، فهو عربون مساعدتك الغالية، وأنا مستعدة لأن أدفع لك ضعفه، الكونت يغازل ابنتك، وهو مصمم على الظفر بمفاتنها، فما عليها إلا أن تتظاهر بالموافقة على مسايرته، وعندما تطغى عليه أشواقه لن يرفض لها طلبًا، فالكونت يضع في إصبعه خاتمًا ثمينًا توارثته أسرته أبًا عن جد منذ اربعة أو خمسة

أجيال، لكنه في هوسه لا بد وأن يُعطيه بدون مساومة، ثم يندم بعد ذلك على تصرفه وتسرّعه.

هيلانة : فقط أريد من ابنتك قبل أن تبدي رغبتها في الاستسلام أن تلح في طلب خاتمه، وأخيرًا أن تخلي المكان.

الأرملة : أنا موافقة، درّبي إذًا ابنتي على كيفية تصرفها كي تتمكن من القيام بهذه اللعبة القذرة بنجاح، ففي كل مساء يأتي برفقة بعض الموسيقيين من جميع الفئات لإنشاد بعض الأغاني التي تشيد بجمالها ويخصالها بطريقة مبالغة؛ إذ لا فائدة من طرده عن نوافذنا لأنه يظل متشبثًا كأن حياته متعلقة بها.

هيلانة : سنحاول تنفيذ المؤامرة، فإن نجحت يكون قد ظهر ما يبيّته من سوء نية يتبعها عمل جدي رصين من جهة، ومن حسن نية يتبعها على الأرجح عمل جدي أيضًا، وفي كلا الحالين ليس من خطأ رغم احتمال وقوع الغلط، فإلى العمل إذًا.

(تخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في معسكر على ضوء القمر

يدخل السيد الأول وخمسة أو ستة جنود ويختبئون في كمين

السيد الأول : ليس هناك مكان يأتي منه إلا هذه الناحية، فإن رأيتموه فخاطبوه بأقسى لهجة تعرفونها، ولنجعله يعي أننا لا نفهم لغته، ما عدا واحد منا سنعتبره كترجمان.

الجندي الأول: اسمح لي يا سيدي أن أكون أنا الترجمان.

السيد الأول : ألا يعرف صوتك؟

الجندي الأول: كلا يا سيدي، أؤكد لك أني لا أعرفه.

السيد الأول : بأي لغة غير مفهومة سنجيبه؟

الجندي الأول: بلغة نخترعها.

السيد الأول : لا بد من أن نوهمه أننا عصابة نعمل لحساب العدو، وعلى كل منّا أن يتكلم بلهجة مختلفة، بشرط أن نتظاهر بأننا نتفاهم، المهم أن نصل إلى مبتغانا، أما أنت فعليك أن تظهر بمظهر سياسي محنّك، بغطرستك وعنجهيتك، ها هو ذا قد عاد ليقضي ساعتين في نوم

عميق، ثم يعود ليغدق على الجماعة كذبه وسبابه وخداعه حسب ما يوحي إليه دهاؤه وابتكاره.

(يدخل بارول)

بارول : لقد حان وقت رجوعه، ماذا أقول له أني فعلت؟ لا بد من اختلاق عذر مقنع.

السيد الأول : (على حدة): هذه مقدمة لهجتك الجانية.

بارول : أي شيطان دفعني لاختلاق قصة الطبل الضائع، فإني لا اعرف حتى قضيته، يجب علي أن اصطنع لنفسي بعض الجراح وأن ادعي اني تلقيتها أثناء المعركة، إنما الجراح الخفيفة لا تفيدني، ولا أجرؤ أيضًا على اصطناع جراح بليغة، فما العمل؟ لا بد لي من أن أتذرع بصمت حذر إذا تورطت بموقف حرج.

السيد الأول : (على حدة): هل يُمكن أن يعرف من هو؟

بارول : أتمنى ان يكون تمزيق ثيابي كافيًا نظير كسر سيفي الأسباني.

السيد الأول : (على حدة): لا يسعنا أن نؤمن لك ذلك.

بارول : إذًا سأحلق لحيتي وادّعي أن تلك خدعة حربية.

السيد الأول :(على حدة): لن تنطلي هذه الحيلة.

بارول : أو أن أدفن ثيابي وادّعي أن لصوصًا عرّوني أثناء الطريق.

السيد الأول : (على حدة): قد لا تفيد هذه الوسيلة.

بارول : وإذا أقسمت بأني نفذت من كوّة القلعة.

السيد الأول :(على حدة): من أي علوّ؟

بارول : من علوّ ثلاثين باعًا.

السيد الأول : (على حدة): مهما كان من الأيمان فلا يحمل ذلك أحدًا على تصديقه.

بارول : أن أحصل على أي طبل من طبول العدو، وأقسم بأني أنا انتزعته.

السيد الأول : (على حدة): ستسمع قرع أحدها في الحال. (يُقرع طبل)

بارول : هذا الآن طبل عدو.

السيد الأول : (يهجم على بارول): تروجا جللولا ضاروخالودا لوللا جنجونا.

الجميع : (يهجمون): تروجا جللولا جودة كاركو لوللا جنجونا، فيليان بار إسلا بطوطا.

بارول : النجدة النجدة.(يقبض عليه الجنود ويعصبون له عينيه): لا، لا تعصبوا لي عينيّ.

الجندي الأول: هيا سيدا أمادا بوسا.

بارول : أرى أنكم فرقة من جنود التتر، يا هلاكي، لا أفهم لغتكم، إن وجد بينكم ألماني أو دانمركي أو هولاندي أو

إيطالي او فرنسي أرجو ان يخاطبني بلغته، وسأبوح له
بأسرار تهلك الفلورنسيين.

الجندي الأول: بوسا سوما دو، انا افهمك واتكلم لغتك يا "يا حامو
نجاح صديقي، هيا صل لربك وتضرع إليه؛ لأن هناك
مائة خنجر ستخترق صدرك وتمزق قلبك.

بارول : يا إلهي.

الجندي الأول: أجل ابتهل وتضرّع، منكا لولا هيا جنجونا لولا.

السيد الأول : ات تلميد كرتتا سولا في ضارا.

الجندي الأول: القائد يوافق على إبقائك حيًّا، وسنأخذك إليه
معصوب العينين لكي تقصّ معلوماتك، فربما يعفو
عنك.

بارول : اتركوني على قيد الحياة، وأنا أطلعكم على أسرار
معسكرنا، وعلى قواتنا وخططنا، اجل سأطلعكم على أمور
تدهشكم.

الجندي الأول: المهم ان تقول الحقيقة.

بارول : إذا شككتم بكلامي تستطيعون قتلي.

الجندي الأول: امانايا زوزو، سنمنحك مهلة.

(يخرج مصطحبًا بارول تحت الحراسة)

السيد الأول (لأحد جنوده): اذهب وقل للكونت ولأخي اننا القينا

القبض على الثرثار، وأننا سنحتفظ به معصوب العينين

إلى أن تصلنا أخبارهم.

الجندي الثاني: سأذهب يا سيدي.

السيد الأول : لا تغفل عن إعلامهم بأنه مستعد أن يخون جماعته

لإرضائنا.

الجندي الثاني: نعم، يا سيدي.

السيد الأول : حتى ذلك الحين سأحتفظ به في مكان حريز وتحت

الحراسة المشددة. (يخرجون).

المشهد الثاني

في فلورنسا داخل غرفة في بيت الأرملة

يدخل برتران وديانا

برتران : قيل لي أن اسمك فونتيبال.

ديانا : لا يا سيدي الكريم، أنا اسمي ديانا.

برتران : هذا اسم آلهة وأنت تستحقينه، لكن ألم يداعب الحب قلبك الحنون؟

ديانا : كانت أمي إذًا فاضلة.

برتران : وستكونين مثلها.

ديانا : كانت والدتي تقوم بواجب كما هو مفروض عليك نحو امرأتك يا سيدي.

برتران : أرجوك كفي عن هذا الكلام، لا تعارضي أفكاري، أنا ارتبطت بها عنوة، لكن أحبك أنت بإخلاص.

ديانا : أنتم الرجال تخدموننا لنخدمكم، لكن حين تحصدون شذى ورودنا لا تتركون لنا سوى أشواكها وتعيّروننا.

برتران : كم مرة أقسمت لك.

ديانا : الإخلاص لا يقوم إلا على المعاملة البسيطة البريئة التي تخصّوننا بها، ورب السماء يشهد على صدق نيتنا، فالقَسَم ليس مقبولًا إذا تعهدت باسم من أعبده بأني سأتصرف خلافًا لشرائعه، هكذا قسمك ليس إلا كلام هزيل الطابع على الأقل في نظري.

برتران : غيّري رأيك فيّ، ولا تكوني قاسية في حكمك عليّ، فحبي مقدس ووفائي لا يعرف التكلّف، فلا تترددي وبادليني عواطفي، قولي لي أنك لي، وسيدوم حبي لك كما بدأ.

ديانا : أرى أن الرجال لا يصدّقون في مثل هذه القضايا، أعطني هذا الخاتم كعربون مودتك لعله يقنعني بحسن نيتك.

برتران : سأعيرك إياه؛ لأني لا أملك الحق بالتنازل عنه.

ديانا : أنت لا تريد إعطائي إياه.

برتران : هذا شعار أسرتنا، وقد ورثته عن أبي وجدي، وعار عليّ أن أفقده.

ديانا : بتوليتي كخاتمك، وعفتي هي جوهرة أسرتنا، وقد ورثتها عن أمي وجدتي، وفقدانها سيكون أفظع عار الوّث به سمعتي.

برتران : خذي خاتمي، فأنا أهبك شرفي وقلبي وحياتي وأطيع

أوامرك.

ديانا :(تأخذ الخاتم): عند حلول منتصف الليل، اطرق نافذة حجرتي، وسأتدبر أمر دخولك بشكل لا يدع أمي تدري بوجودك، لكني باسم الوفاء، حين تنعم في فراشي الطاهر أن لا تمكث فيه أكثر من ساعة ولا تتكلم، ولطلبي هذا أسباب قاهرة ستعرفها عندما أرد لك هذا الخاتم، في هذه الليلة سأضع في إصبعك خاتماً يدلل لك في مستقبل الأيام على اجتماعنا هذا.

الوداع الآن، لا تتأخر، فقد ربحت بشخصي زوجة وفية، وأنت تحرمني من كل أمل في البقاء مخلصة.

برتران : في أحضانك أجد الجنة على وجه الأرض.

(يخرجان)

ديانا : (وحدها): أرجو أن تعيش لتشكر الله وتشكرني، فأُمي قد أخبرتني بالطريقة التي سيغازلني بها مالك قلبي، وبما أن الفرنسيين هم خداعون إلى هذه الدرجة فليقترن بمن يشاء؛ لأني أريد أن أغشه وأصبح هكذا خائنة حقيرة.

(تخرج)

المشهد الثالث

في خيمة ضمن المعسكر الفلورنسي ينيرها مشعل موضوع على مائدة

يدخل سيدان فرنسيان يتبعهما ثلاثة جنود

السيد الأول : ألم تسلمه رسالة والدته؟

السيد الثاني: أجل أعطيته إياها منذ ساعة.

السيد الأول : لقد جلب على رأسه الخزي والعار برفضه زوجة صالحة وسيدة رائعة.

السيد الثاني: وعرّض نفسه لاستياء الملك، سأطلعك على أمر ستحفظه في صدرك.

السيد الأول : كأنه في صندوق مقفل.

السيد الثاني: لقد استمال هنا في فلورنسا سيدة صبية، عفيفة نقية، بعد أن أعطاها خاتمه.

نحن خونة بحق أنفسنا، نرى الدساسين يتحادثون فيما بينهم عن نواياهم إذ ينزل بهم الويل ويتدهور نبلهم إلى الحضيض ويذيع سره.

السيد الأول : تدور في رؤوسنا دسيسة خفية سافلة.

وهذه الساعة تقترب بسرعة فائقة، على كل حال يسرني

ان يحضر مناقشة هذا البطل المزيف.

السيد الثاني: لن نهتم بهذا الرجل قبل وصول الكونت؛ لأن حضوره

يسحق قلب هذا الشقي.

السيد الأول : بانتظار ذلك.

السيد الثاني: مهّد الطريق إلى تحقيق السلم.

السيد الأول : لذلك أستطيع أن أطمئنه بأن الصلح قد تمّ.

السيد الثاني: وهل يسافر كونت روسيون إلى مكان آخر أم يعود إلى

فرنسا؟

السيد الأول : أرى أنك غير عالم بأعماله.

السيد الثاني: بل بالعسس، فأنا مشترك في جميع أعماله.

السيد الأول : منذ ما لا يقل عن ستين يومًا يا سيدي هربت زوجته

بحجة أنها ستزور أحد المعابد، وفيما هي هناك تعرضت

نفسيتها إلى تجربة صعبة، أودت بها ضحية لحزنها

وفارقت الحياة أخيرًا.

السيد الثاني: وما الدليل على قولك؟

السيد الأول : أولًا رسائلها حين وفاتها، وموتها الذي لم تستطع أن

ترويه، وذلك ما أكده كاهن تلك الناحية.

السيد الثاني: وهل علم الكونت بذلك؟

السيد الأول : أجل.

السيد الثاني: وما يُدهشني أنه مسرور لذلك، فكم نستعجل أحيانًا في تعزية أنفسنا ورؤية شقائنا في دموعنا.

السيد الأول : لا تنسَ أن نسيج حياتنا وفضائلنا تتشامخ علينا إذا لم تجلدها سياط التوبة والندم.

(يدخل أحد الخدم)

يا هذا أين سيدك؟

الخادم : استأذن الدوق، وسيرحل إلى فرنسا غدًا بعد أن يُكرمه الدوق ويوصي عليه الملك.

السيد الثاني: ستساعده التوصية.

(يدخل برتران)

السيد الأول : الملك مستاء إلى درجة أن لا شيء يخفف حنقه، ها هو صاحب الجلالة، قل لي، هل اجتزنا منتصف الليل يا مولاي.

برتران : حكمت هذا المساء في ما لا يقل عن ست عشرة قضية، كل واحدة منها كانت تستغرق شهرًا كاملًا، استأذنت الدوق ودفنت امرأتي وكتبت إلى والدتي أني عائد.

السيد الثاني: إذا كنت تنوي أن تبارح هذا المكان اليوم صباحًا عليك

أن تعجل في الرحيل.

برتران : الرحيل، وهذا الجبان؟ هيا اكشف لي حقيقة هذا المولى المزيّف الذي خدعني؛ إذ ليس كل ما يبرق ذهبًا.

السيد الثاني: (لبعض الجنود): خذوه.

(يخرج الجنود)

برتران : لقد نالت قدميه شدة الإرهاق.

السيد الأول : لقد اعترف بأخطائه وذنوبه لموركن الذي ظنه راهبًا، فبماذا تظنه قد اعترف؟

برتران : بشيء لا يمسني، أليس كذلك؟

السيد الثاني: فإذا كان الأمر يتعلق بسيادتك، فما عليك إلا أن تكونَ طويل البال حتى تسمع ما تشاء.

(يعود الجنود وبرفقتهم بارول معصوب العينين)

برتران : قتله الطاعون، عيونه معصوبة، إذًا لا يمكنه أن يقول كلمة واحدة عني، لنلزم الصمت.

السيد الأول : احذر لعبة المطرقة والسندان، كراشو جنجونا.

الجندي الأول: (لبارول): هو يطلب تعذيبك، ماذا تقول دون إشراكه في الكلام.

بارول : سأبوح بما أعرف بدون أن يجبرني أحد، وإلا لن أتكلم ببنت كلمة.

الجندي الأول: لولا جللولا.

السيد الثاني: لوجي شيكوري جيها هيما موركو.

الجندي الأول: (يأخذ ورقة): انت قائد حكيم، ضابطنا يأمرك بالإجابة على الأسئلة التي سأطرحها عليك.

بارول : سأجيب عليها بصراحة.

الجندي الأول : (يقرأ): اسأله أولًا ما هو عدد فرسان الدوق؟ وما هو رأيك فيهم؟

بارول : لديه خمسة أو ستة آلاف حصان، لكنها متعبة، وجنوده مشتتون ورؤساؤهم جماعة من المساكين الحائرين، أقسم لك بشرفي وبحياتي التي أتمسك بها بأني أقول الحق.

(يكتب الجندي)

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت): لا شيء يهمه، تبًّا له من محتال مكّار.

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت): أنت مخطئ يا سيدي، هذا الرجل اسمه بارول، يعلم كل مشاكل الحرب، وكل خبرته في قراب خنجره.

السيد الثاني: (بصوت خافت): من الآن وصاعدًا لن اثق بأي إنسان لمجرد أناقة ثيابه.

الجندي الأول : هذا مكتوب.

باروL : أجل.

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت): قوله أقرب ما يكون إلى الواقع.

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت): لكني لا أقدّر أبداً صراحته.

بارول : (للجندي الأول): أوصيتك يا مسكين أن لا تنسَ شيئاً.

الجندي الأول: هذا أيضاً مكتوب.

بارول : أشكرك يا سيدي، فالحقيقة واحدة لا تتغير، وهؤلاء هم في الواقع مساكين.

الجندي الأول : (يقرأ): اسأله ما هو عدد الخيالة؟ وما رأيه؟

بارول : أنا لا أقول سوى الحق، ولو بقي من عمري ساعة واحدة فقط.

(الجندي الأول يكتب)

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت): ما هو مصيره؟

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت): الشكر على معلوماته القيمة.

(بصوت خافت للجندي): اسأله عن أخلاقي، ثم عن مكانتي لدى الدوق.

الجندي الأول : كتبت كل هذا. (يقرا): اسأله عن رجل فرنسي في المعسكر يدعى الضابط دوماين، ثم ما هي سمعته وخبراته في الحرب، وإذا كان يمكن تحريضه بالذهب الرنان على الثورة والعصيان، وما رأيه بذلك؟

باروl : أستحلفك بأن تسمح لي أن أجيب عن كل سؤال على حدة بندًا بندًا.

الجندي الأول: هل تعرف الضابط دوماين؟

بارول : أجل، أعرفه جيدًا، كان متمرنًا عند رجل يتعاطى أشغال الرفو في باريس وكان نصيبه الطرد؛ لأنه اعتدى على فتاة قاصرة من دار رئيس الشرطة فحبلت منه وهي خرساء مغفلة لم تستطع صدّه.

(يهدد السيد الأول الغاضب بارول بقبضة يده)

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت): العفو، جمّد يدك الآن، فربما انتقمت لك منه.

الجندي الأول: وهل هذا الضابط موجود حاليًا في معسكر دوق فلورنسا؟

بارول : هو الآن هناك.

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت): لا تنظر إليّ هكذا شذرًا، ستسمع في الحال ما يخص سيادتك.

الجندي الأول: (لبارول): ما هي مكانته لدى الدوق؟

بارول : الدوق لا يعرفه إلا كضابط مسكين تحت إمرته، وفي ذلك النهار كتب إليّ لكي أطرده من الفيلق، وأظن أن الرسالة لا تزال في جيبي.

الجندي الأول: لا بدّ من البحث عنها.

(يتقدم نحو بارول ويفتّشه)

بارول : لم أدرِ أين وضعتها بالضبط، أهي هنا أم في خيمتي؟ ربما في ملف مع رسائل الدوق.

الجندي الأول: (يسحب ورقة): ها هي الورقة، أتريد أن أقرأها لك؟

بارول : لست أدري إن كانت هي الورقة أم لا.

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت): كيف يقوم ترجماننا بوظيفته؟

السيد الأول: على أحسن ما يرام.

الجندي الأول: (يقرأ): الكونت يا ديانا، رجل أحمق، محمل ذهبًا.

بارول : هذه ليست رسالة الدوق يا سيدي، هذا تنبيه موجّه إلى فتاة شريفة من فلورنسا من قِبَل كونت روسيون، الرجل الغبي الفاسق المهووس، أرجو أن ترد لي هذه الورقة.

الجندي الأول: لا، اسمح لي أوّلًا أن أتمّ قراءتها.

بارول : أنا أحتج؛ لأني أريد هنا أن أكون أكثر احترامًا نحو الفتاة، فأنا أعرف الكونت الشاب، وهو خطر جدًا؛ لأنه يشبه الحوت الذي يفترس البتولات.

برتران : (على حدة): تبًا له من محتال لعين.

الجندي الأول: "إن كان يغدق على الناس وعوده، فما عليه إلا أن

يعمل، ثم يعقد الصفقة، وما دام لا يدفع أي عربون دعه يدفع سلفاً كل القيمة، أخيراً، صدقيني، اتكلي على الكونت المغفل لأني أعرف جيداً انه يدفع سلفاً كما قلت لك، لكن ليس في الوقت اللازم.

التوقيع: بارول.

برتران : (على حدة): سيجلد أمام أفراد الجيش جراء أفعاله وأقواله الخبيثة.

السيد الثاني: (على حدة): هذا يا سيدي هو صديقك المخلص.

برتران : (على حدة): كم أكره الذئاب أمثال هذا الرجل اللعين.

الجندي الأول: (لبارول): ألاحظ يا سيدي أن انضمامك إلى صفوفنا يسرّه كثيراً.

بارول : أنا يا سيدي أتشبث بحياتي لأن ذنوبي كثيرة، وأريد أن أقضي باقي العمر بالتوبة والتكفير عنها، فاتركني في السجن، أو مربوطاً في عمود، حيث تشاء، المهم أن أعيش.

الجندي الأول: سنرى ما يمكن عمله إذا واصلت اعترافاتك بصدق، لنعد إلى الضابط دوماين، فماذا تعرف عن أخلاقه؟

بارول : هو رجل لا يردعه أي شيء عن الاغتصاب والخطف، ولا يفي بوعوده، يكذب بسهولة، وهو دوماً ثمل قذر كالخنزير، ولا مزيد لسفالته ولقلة مروءته، بالاختصار

فيه ما في الرجل اللئيم.

السيد الأول : (على حدة): أودّ معرفته بسبب ما ذكرته لي عنه.

برتران : (على حدة): أنا أراه شبيه الذئاب تمامًا.

الجندي الأول: (لبارول): وماذا تقول عن خبرته في فنون الحرب؟

بارول : بذمتي يا سيدي، أؤكد لك أنه قرع الطبل أمام المهرجين الإنكليز، ومع ذلك، في هذا البلد، مكان يدعى "مايل اند" خدم فيه كضابط لجمع الجنود في فرقة البهلوانيين، هكذا أردت أن أكرمه بقدر ما يستحق.

برتران : (على حدة): هو الآن ما هو إلا ثعلب مراوغ غدار.

الجندي الأول: (لبارول): بما أن صفاته هكذا سيئة، فلماذا كان الذهب يغرّه ويدفعه إلى الثورة والتمرد؟

بارول : من أجل الذهب يمكن أن يتخلى عن الجنة ويحرم منها أحفاده إلى الأبد.

الجندي الأول: وماذا تقول عن الضابط الثاني صاحب دوماين(لافو)؟

السيد الثاني: (على حدة): لماذا تراه يسأله عني؟

الجندي الأول: (على حدة): ما صنف هذا الرجل؟

بارول : هو غراب من نفس الفصيلة، يفوق أخاه شرًا وفسادًا، وجبان.

الجندي الأول: إذا أنقذنا حياتك، هل تتعهد بخيانة الفلورنسيين؟

بارول : نعم، مع ضابط الفرسان كونت روسيون.

الجندي الأول: سأبادل القائد بضع كلمات بصوت خافت لأعرف ما هو قراره؟

بارول : (على حدة): لا أريد أن يلكمني أحد.

الجندي الأول: لا خلاص لك يا سيدي، يجب أن تموت.

يقول القائد: بما أنك حنثت بيمينك وبحت بجميع الأسرار فأنت لا تتحلى بأي شرف في هذه الدنيا، وبالتالي يجب أن تموت، هيا، يا جلاد، اقطع رأسه.

بارول : يا إلهي، دعني على قيد الحياة يا سيدي، دعني أنتظر ساعة وفاتي.

الجندي الأول: (يفك العصابة عن عينيه): شاهد الآن موتك يا مسكين وودع أصدقاءك ثم جُلْ بصرك فيما حولك، فهل تعرف هنا أحدًا؟

برتران : نهارك سعيد أيها الضابط النبيل.

الجندي الثاني: أنا ذاهب إلى فرنسا.

السيد الأول: أيها الضابط الكريم، هل تريد أن تزودني بنسخة من القصيدة التي نظمتها لديانا تكريمًا لكونت روسيون؟ لو لم تكن جبانًا حقيرًا لكنت أخذتها منك بالقوة، لكن الوداع.

الجندي الأول: لقد خسرت كل شيء أيها الضابط، ولم تعد تملك سوى شالك.

بارول : من لا يتوقع دماره وخراب بيته؟

الجندي الأول: أتمنى لك العافية يا سيّدي، أنا أيضًا ذاهب إلى فرنسا وسنتحدث عنك هناك.

(يخرج)

بارول : (وحده): الحمد لله على كل حال، لا أريد أن أظل ضابطًا بعد الآن، لكني أريد ان آكل وأشرب بأمان، فمن يعرف أنه جبان فعليه أن يلتزم الحذر دائمًا؛ لأن الجبان لا بد له يومًا من أن يصنّف كحمار، اصدأ يا سيف، وغبْ يا خجل، وأنت يا بارول عش بهوان في أحضان العار والذل.

(يخرج)

المشهد الرابع

في فلورنسا عند الأرملة

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا)

هيلانة : لكي أقنعك بأني لم أظلمك سيفصل بيننا كبير الأمراء، وعلمت أن سموّه كان في مرسيليا، ولكي أعرف الطريق إليها وجدت قافلة تستعد للرحيل، وكان الجميع يعتقدون أني ميتة، كان الجيش ممزقًا فرجع زوجي إلى القصر، وكنت آمل بإذن مولاي الملك أن أعود قبل وصول ضيفنا.

ديانا : أرجو أن أظل صامدة أتحمل كل العذابات في سبيل رضاك.

هيلانة : أستحلفك أن تصبري قليلًا، فعربتنا جاهزة والمُهَل أمامنا قصيرة المدى، والعبرة في النهاية، ما دامت الخاتمة تتوج العمل، ومهما كانت المشاكل معقدة وعسيرة الحل لا بد من بلوغ النتيجة الحاسمة.

(تخرجان)

المشهد الخامس

في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس ولافو والمهرج)

لافو : كلا، لقد ذهب ابنك ضحية مشعوذ مكّار، بدونه كانت ابنتك لا تزال على قيد الحياة، وابنك هنا بقربك في كنف الملك.

الكونتيس : كم أتمنى أن لا أعرفه؛ لأنه سبّب موت أشرف امرأة عرفتها، كنت أمها الحقيقية.

لافو : هي سيدة كريمة الأصل.

المهرج : في الحقيقة هي جوهرة نادرة لا تقدر.

لافو : بل هي زهرة فواحة عطرها.

المهرج : أنا لست بعالم كي أميّز بين الزهر والعشب.

لافو : ما هي مهنتك أيها الدجال المجنون.

المهرج : أجل، أنا مجنون في خدمة امرأة، ومحتال في خدمة رجل.

لافو : فسر ما تقول.

المهرج : أستميل زوجة الرجل الذي أخدمه.

لافو : هكذا تكون دجالًا في رعاية مصالحه.

المهرج : والّمح لامرأته عن رغباتي المغرية بخدمتها.

لافو : إذًا، انت محتال ومجنون معًا.

المهرج : في خدمتك يا سيدي.

لافو : كلا ، كلا.

المهرج : لا، فإن لم أستطع أن أخدمك سأخدم أميرًا خطيرًا مثلك.

لافو : أي أمير تعني؟ هل هو فرنسي.

المهرج : اسمه إنكليزي، إنما طلعته تدل على أنه فرنسي أكثر.

لافو : من هو؟

المهرج : الأمير الأسود، الملقب بأمير الظلمات، إبليس.

لافو :(يرمي إليه بمحفظة نقوده): إليك نقودي، فثابر على خدمة سيدكَ.

المهرج : أنا من سكان الغابات يا مولاي، وأحب إضرام النار، وسيدي يحب النار المشتعلة، ربما لأنه أمير خطير.

لافو : أكمل طريقك، فقد أخذت أشعر بالتعب من حديثك.

(يخرج المهرج)

لافو :(للكونتيس): تبًّا له من وغد سافل.

الكونتيس : هذا صحيح يا مولاي فهو لا يحترم أحدًا.

لافو : لا ضرر من ذلك، وأنا أحبه على تصرفه، لكني أريد أن أقول لك أني عندما سمعت بموت هذه السيدة، وقرب عودة سيدي ولدك، رجوت مولاي الملك أن يكلمه بخصوص ابنتي، فوعدني جلالته خيرًا، واقترح علي هذا الزواج، ولم يجد إلا اللجوء إلى هذه الوسيلة بعد استيائه من ولدك، فما رأي سعادتك؟

الكونتيس : أنا مسرورة جدًّا يا سيدي.

لافو : سموّها عادت من مرسيليا إلى مقرها وكأنها في الثلاثين من عمرها، والملك سيكون هنا غدًا.

الكونتيس : يسعدني جدًّا أن أراها قبل موتي، فقد وصلتني بعض رسائل تفيد أن ولدي سيكون هنا في هذا المساء، فأستحلف سيادتك أن تمكث عندنا حتى تتم مقابلتهما.

لافو : بأية صفة أتعرّف إليهما؟

الكونتيس : عليك أن تبرز امتيازاتك المشرفة.

لافو : أشكر الله أنني لا أزال أنعم بالوقار والاحترام.

(يدخل المهرج)

المهرج : يا سيدتي، ها هو مولاي ابنك قد وصل.

لافو : لا بد من أن يكون قد تلقى جرحًا بنبل أثناء القتال، وهي شارة مشرّفة بلا شك.

المهرج : وجهك ليس أنقى منه.

لافو : هيا نشاهد ابنك لأني في غاية الشوق للتحدث إلى جندي مثله.

المهرج : لعمري هناك عشرة أشخاص يرتدون قبعات جميلة لها ريشات مميزة، وينحنون للسلام عليه.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

في مرسيليا أمام منزل فخم

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا وخادمان)

هيلانة : إنه لأمر مرهق حقًا أن أستقل عربة السفر طوال اليوم، ولكنه أمر لا بد منه، ومعذرة يا أعواني، فأنا أعي تمامًا كم هو شاق عليكم القيام بخدمتي رغم ضآلة أجسادكم، ولكنكم تتحملون ذلك وتصبرون عليه، وأعتبر خدماتكم الجليلة لي صنيعًا جميلًا اقدره تمامًا وأعجز عن شكره.

الوجيه : وأنا كذلك أيضًا، لن أنسى جميلك سيدتي.

هيلانة : أتذكر أنني رأيتك قبل ذلك في بلاط فرنسا.

الوجيه : نعم، لقد تواجدت هناك كثيرًا.

هيلانة : أظن أنه رغم التقلبات التي ربما تمحو الألقاب والوظائف الملكية إلا أنك ما زلت تحظى بمكانتك ومنزلتك، لذا فأنا التمس منك ان تسدي إليَّ خدمة سيكون صنيعها جميلًا أظل أحمله فوق راسي إلى الأبد.

الوجيه : طوع أمرك يا سيدتي.

هيلانة : أرجوك أن تتنازل وتتفضل وتعطي هذا المعروض لمولاي الملك، وتتعاون معي في تسهيل طريقة لمقابلته، بما تملك من سلطة ومكانة.

الوجيه : ولكن جلالة الملك ليس هنا الآن.

هيلانة : ليس هنا؟

الوجيه : لقد سافر ليلة أمس في عجالة سريعة على غير ما اعتدنا منه.

الأرملة : رباه، لقد ذهب تعبنا هباء.

هيلانة : مولاتي، رغم قسوة الظروف، وانعدام الطريق، سنصل حتمًا إلى هدفنا إن كان قدر لنا أن نصل إليه، والعبرة في النهاية دائمًا، من فضلك هلا أخبرتني إلى أين رحل؟

الوجيه : أظن أنه ذهب إلى روسيون، وأظن أنني سألحق به.

هيلانة : (تمد إليه ورقة): أرجوك أيها الرجل النبيل، بما أنك ربما تسبقني لمقابلة الملك، فأرجوك أن تسلمه هذه الرسالة، وأقسم لك أنه لن يمسك أذى من ورائها، بل ربما ستنال تكريمًا منه بسببها، وسألحق بكما على وجه السرعة.

الوجيه : (يتسلم الورقة): على الرحب والسعة يا سيدتي.

هيلانة : أشكرك على تعاونك يا سيدي. (لرجالها): هيا يا رفاق ليتأهب كل منكم بجواده للسفر.

(يخرجون)

المشهد الثاني

في باحة قصر كونت روسيون

(يدخل المهرج وبارول بيده ورقة)

بارول : سيدي، برجاء تسليم هذه الورقة للسيد لافو، كنت سابقًا تذكرني عندما كان مظهري أفضل من الآن، ولكني تغيرت كثيرًا فأصبح هندامي أقل كثيرًا والغبار يملؤني، ورائحة عرقي أصبحت مقززة.

المهرج : أجل، مظهرك يريبني ورائحة العرق منتنة. (يسد أنفه): من فضلك حاول أن تقف بعيدًا بجوار منفذ للهواء.

بارول : سيدي، ليس هناك ثمة رائحة تدعوك لسد أنفك فقط كان تشبيهًا مجازيًا.

المهرج : أخشى أن يكون كل تشبيه لك له ذات الرائحة لذلك سأسد أنفي، معذرة يا صاح، ها هو السيد لافو قد حضر.

(يدخل لافو)

سيدي لافو هذا الرجل ارتاب كثيرًا من هيئته وأرى في عينيه المكر والخبث والدهاء والخسة، فعليك أن تسعى

جاهدًا للإيقاع به فهو وغد حقير يثير اشمئزازي.

(يخرج)

بارول : سيدي، معذرة فقد اعتصرتني الأيام بقسوتها وتراكمت فوق رأسي همومها المذالة.

لافو : وكيف يتسنى لي مساعدتك؟ ماذا جنت يداك لكي تقسو عليك الأيام لهذه الدرجة رغم أنها تمد يدها للدجالين حتى توقف حيلهم في رعايتها. (يعطيه قطعة نقود): خذ هذه القطعة من النقود وآمل أن ترحمك الأيام وتنعطف عليك وترأف بحالك، معذرة فأمامي عمل كثير أقوم به.

بارول : أرجو من سيادتكم أن تنصت قليلًا لكلمتي الأخيرة.

لافو : (يعطيه قطعة نقود أخرى): أأنت في حاجة للمزيد من النقود؟

بارول : كلا يا سيدي النبيل، اسمي بارول.

لافو : هل هذا ما أوقفتني من أجله، تبًّا لإبليس اللعين، ماذا تريد؟

بارول : أنت أول رجل عرف مكاني ورأى حقيقتي.

لافو : وهل أنا أول من افتقد صحبتك أيضًا؟

بارول : سيدي، أنت لا غيرك تملك القدرة على رفع شأني ثانية

والعودة إلى مكانتي الرفيعة، فأنت من أضاع كل ذلك.

لافو :الويل لك، هل تراني شيطانًا تسبب بخبثه في ضياعك، ثم تراني ملاكًا يستطيع أن يمد يد العون لك لكي تخرج من بئر الضياع الذي أوقعتك فيه كما تدعي؟ كيف أكون الاثنين في وقت واحد؟ (يسمع صوت بوق): لقد حضر جلالة الملك، أما سمعت صوت البوق؟ بالأمس سمعت أنباءك المريبة أيها المعتوه، وهي تخيفني منك كثيرًا، هيا اتبعني.

بارول : أشكر الله على وجود شخص مثلك بجواري.

(يخرجان)

المشهد الثالث

في قاعة كبيرة بقصر كونت روسيون

(تصدح الموسيقى، يدخل الملك والكونتيس ولافو وسادة وحرس.. إلخ)

الملك : لقد افتقدنا جوهرة ثمينة برحيلها، فانطفأت شمعة حياتنا وسعادتنا، أما ولدك فقد دمرته رعونته واندفاعه، ولم يعرف حقيقة من يكون، وما هي مكانته.

الكونتيس : إنه ماض ولّى زمانه يا مولاي، أرجو من جلالتك أن تعتبر ما فعله نزوة قاده إليها حماس شبابه وحداثة سنه.

الملك : سيدتي، لقد عفوت عنه، ولو أردت النيل منه لكان الآن في عداد الموتى.

لافو : مولاي الملك، هذا ما أردت أن أقوله لك، وأطلب من جلالتكم أن تغفر ذلته، فهذا الفتى قد أخطأ في حقك وحق أمه وزوجته أيضاً بصورة قبيحة، ولكنه قبل ذلك أخطأ في حق نفسه ونال الضرر الأكبر، لقد فقد الجميلة البهية، وفقد حكمتها ووقارها وجمال عينيها الساحرتين.

الملك : ائتوني به الآن، فرؤيته ستفسر ما آل إليه حاله وانتهى إليه عذاب ضميره. فالمرأة التي أهانها كثيرًا وأخطأ في حقها قد ماتت وأورثته ذكرى أليمة ستظل مريرة في حلقه وعالقة في ذهنه توبخه وتزلزل قلبه. (لأحد الوجهاء): أخبره بأن يأتي كضيف لا مذنب.

الوجيه : السمع والطاعة يا مولاي.

(يخرج)

الملك :(للافو): ماذا كان رأيه عندما ألححت له بزواجه من ابنتك؟ هل تكلمت معه؟

لافو : سيدي، هو يقدر مكانتك ويعظم شأنك ومنزلتك، ولن يفعل شيئًا يخالف أوامرك.

الملك : منذ قليل تلقيت رسالة تمتدح بطولاته، إذًا سنبدأ في إعداد مراسم زواجه.

(يدخل برتران)

لافو : ما أجمل إشراقة وجهك، وبهاء طلعتك!

الملك : (لبرتران): أنا كالشمس الساطعة ولست كالنهار البائس، حتى إذا اشتد البرد وقست الشتاء وانهمر المطر فتبزغ الشمس لتبعث الدفء وتنير الظلام وتسعد الجميع، هيا تقدم فقد تحسنت الأجواء.

برتران : أرجو من مولاي أن يتسع صدره، ويغفر ذلاتي ويعفو عن آثامي.

الملك : كفاك تذللًا وخضوعًا، فلقد انتهى الماضي بما أخذوا علينا، الآن آن أن نحيا حياة جديدة يملؤها الحب والسلام، فالعمر ينقضي دون أن نشعر، فلا نترك أيامه توسعنا ألمًا وحزنًا. (يشير إلى لافو): هل تذكر ابنة هذا الرجل؟

برتران : أجل يا سيدي، أتذكرها بكل التقدير والحب، سابقًا وعندما وقعت نظراتي الأولى عليها لم أكن لأستطيع أن أمنع قلبي عن حبها، ولم أجرؤ على تلجيم لساني بأن يبوح لها بحب قلبي لها وحب عيناي لرؤيتها والتطلع إلى بهائها وسحرها، ولا أعرف ما الذي أعمى عيناي بعد ذلك وأظلم قلبي فلم أعد أراها جميلة، ولم أعد أحبها، ورغم ذلك لم أقابل بعدها من تضاهيها جمالًا وعقلًا وحكمة إلا القليل من الرياء والنفاق الذي يخفي وراءه ما هو أخبث منه، وهكذا صور لي الشيطان المرأة التي عشقتها والتي يقف الرجال لجمالها احترامًا وتقديرًا صورة بشعة فخسرتها وخسرت بعدها كل شيء.

الملك : اعترافك بسابق حبك لها يهون من حدة أفعالك، فالحب الذي نشعر به متأخرًا هو كالمطر الذي ينزل

علينا قطرة بقطرة، واعلم أيها الفتى أننا لا نشعر بجميل الأشياء وقدرها إلا بعد أن نفقدها مثلها في ذلك مثل البشر الذين نحبهم ونعشقهم وندين لهم بالسعادة، لا نعرف كم نحن نحبهم إلا إذا فرقت الحياة بيننا وبينهم، آمل أن تكون التجربة القاسية التي مرت بك تكون بمثابة ناقوس الخطر بعد رحيل هيلانة الجميلة التي ستخلد ذكراها في قلوبنا، والآن ما عليك إلا أن تفتح صفحة جديدة للسعادة وتحفظ رواية جديدة للحب تكون بطلتها (الجميلة مدلين)، وكلنا نرحب بذلك، وننتظر أن نقطع طريق الحزن بخطوات الفرح والحب.

لافو : تعال يا بني، اقبل يا مهجة قلبي وقدِّم لي الدليل على إخلاصك لابنتي ووفائك في حبك لها، عسى أن يجمع القبر شملكما قريبًا (ينزع برتران من إصبعه خاتمًا ويعطيها إياه) أقسم لك أن هذا الخاتم يشبه تمامًا خاتم هيلانة الجميلة التي رحلت وهي تحبك.

برتران : ماذا تقول يا سيدي؟ هذا ليس خاتمها.

الملك : (يأخذ الخاتم): دعوني أتأمله جيدًا؛ لأني منذ قليل رأيته أكثر من مرة، وأظن بأن هذا الخاتم هو خاتمي الذي أعطيت هيلانة إياه كهدية وقلت لها: إذا أدركها

الخوف من شيء وكانت بحاجة إلى عوني فهذا الخاتم سيقوم بدوري ويزيل عنها كل خوف وألم، فهل طغت الظروف عليها وقست حتى انتزعت منها الوسيلة التي تساعدها على النجاة؟

برتران : أقسم لك يا مولاي أنه ليس خاتمها.

الكونتيس : وأنا أقسم لك أنني رأيته في إصبعها وكانت توليه اهتمامًا أكبر من أي شيء.

لافو : انا موقن بأنه خاتمها.

برتران : كلا يا سيدي، ليس خاتمها، فقد أهدتني إياه فتاة عندما كنت في فلورنسا، وكانت ابنة أحد النبلاء وصرّته في ورقة كتبت عليها اسمها وكانت تعتقد بأنني رجل أعزب، وعندما اعترفت لها بحقيقة الأمر واعتذرت لعدم قدرتي على تحقيق رغبتها وارت دمعة حزنها على ذلك وأقسمت ألا أرد إليها الخاتم.

الملك : لا أهمية لما تقوله ولا لمن أعطاك الخاتم، وأقسم لك أن بلوتوس الخبير في فن تحويل المعادن لا يعرف سر هذا الخاتم مثلي، فهو لا يخفى علي أبدًا، فقد كان خاتمي ثم أصبح خاتم هيلانة كذلك، وإن لم يكن مسك شيء من الجنون فأقر بأنك أخذته منها عنوة أو بأي وسيلة

دنيئة قذرة.

برتران : ثق بي يا مولاي.. إنه ليس يخصها.

الملك : أقسم أنك تكذب، وأنا أعرف كم كنت تحقد عليها حتى ماتت، ولكني من المستحيل أن أترك افتراءاتك وكذبك يمرون هباءً، ولن تغير أو تنتزع ثقتي ويقيني بأن هذا الخاتم خاتمي وخاتم هيلانة أيضًا. (للحراس): اصطحبوه واذهبوا به (يطوق الحراس برتران): هيا أيها الحراس، خذوه وسأنظر فيما بعد في أمره.

برتران : إن تمكنت من إيجاد دليل قاطع بأنه خاتمها، وإني لأُقسم أنني نمت في مخدعها في فلورنسا.

(يخرج الحراس ومعهم برتران)

(يدخل الوجيه الذي صادفته هيلانة في مرسيليا)

الملك : لقد تشتت ذهني.

الوجيه : معذرة، يا جلالة الملك، هذه الرسالة أعطتني إياها فتاة من فلورنسا، وأقسمت عليَّ أن أسلمها إلى جلالتك يدًا بيد، وأصرّت على ذلك يا سيدي وأخبرتني بأنها تحمل في طياتها أمرًا يخصك بشدة.

(يسلم الرسالة للملك الذي يفتحها)

الملك (يقرأ): ..

"وبعد وعود كثيرة بأن أتزوج الكونت روسيون بعد أن تفارق زوجته الحياة أعجز من حيائي على الاعتراف بأنه أغواني، والآن بعد أن ماتت زوجة الكونت تنصل من وعده بالزواج مني وإنقاذ سمعتي، وفر مسرعًا ورحل من فلورنسا حتى لا أجد أمامي طريقة أطالبه بها في الوفاء بوعده لي، وأطلب من عدالتك أن تنصفني وأنا على يقين بأنك أهل لذلك".

"ديانا كابوليه"

لافو : عليّ أن أمر في الأسواق فأبتاع رجلًا أتخذه صهرًا لي وأبيع هذا اللص الذي فقدت الثقة فيه.

الملك : لقد نصرك القدر يا لافو بهذا الاكتشاف الخطير، ائتوني بتلك السيدة التي كتبت هذه الرسالة، واذهبوا في طلب الكونت، وليأت إلى هنا فورًا. (يخرج أحد الوجهاء مع خادم): كونتيس، ينتابني الخوف يا سيدتي من أن تكون هيلانة قد راحت ضحية لوغد حقير.

الكونتيس : عندئذٍ لا يسعنا إلا الانتقام من هذا القاتل الأحمق.

(يدخل برتران يحيط به الحراس)

الملك : (لبرتران): أمرك عجيب يا رجل، كيف تقسم لامرأة بالزواج منها لتعيش في أمني تحت جناحي قوتك

ورجولتك ثم لا تلبث أن تتبرأ من وعدك وتفر هاريًا، ثم الآن تمد يدك طالبًا الاقتران بأخرى.
(يعود الوجيه مصطحبًا ديانا والأرملة) من تكون هذه السيدة؟

ديانا : أنا يا مولاي البائسة سليلة عائلة كابوليا والفلورنسية المولد التي أرسلت إلى جلالتك الرسالة التي عرفت من خلالها مأساتي.

الأرملة : أنا والدتها الحزينة التي يرفض شرفها وسمعتها وقوع تلك الجريمة المخلة التي ننبذها ونكره عارها، عليك يا سيدي أن تضع حدًا لتلك المهزلة.

الملك : تعال يا برتران، هل تعرف هاتين المرأتين؟

برتران : أجل يا مولاي، هل هناك سؤال آخر؟

ديانا : (لبرتران): لماذا تنظر إليَّ بهذا الاحتقار وأنا زوجتك؟

برتران : لا تصدقها يا مولاي، هي ليست زوجتي.

ديانا : إن اقترنت بغيري فستعطي امرأة أخرى حقي فيك، ثم ستقترن بغيرها أيضًا وتمنحها نفس الحق الذي هو أيضًا حقي فيك، وستمنعني من الشعور بكياني كامرأة وهو حق لي كأنثى حتمًا.

لافو : (لبرتران): أرى أنك رجل تدنس أي امرأة ترتبط بها،

فأنت سيء السمعة، وليس شرفًا لي أن تكون صهري وتتزوج ابنتي.

برتران :(للملك): سيدي إنها امرأة مريضة بالعته والجنون، وأقسم لك أنني لست كما تظن بي يا سيدي، إنني أكبر بكثير من أن أكون بهذه الخسة والدناءة.

الملك : أرى أنك تجد مع زوجتك حلًّا لمشكلتكما وتضعا حدًّا ونهاية لأفعالك المشينة.

ديانا : أستحلفك يا سيدي أن أسأله ألم يُفْقِدْني عذريتي؟

الملك : ما رأيك فيما قالت الآن؟

برتران : مولاي، هذه امرأة فاسقة تبيع المتعة الآثمة لمن يملك ثمنها.

ديانا : إنها إهانة لا أحتملها، لو كان صادقًا فيما يدعي بأنني فاجرة تغوي الرجال وتبيع لهم جسدها بثمن بخس، فكيف يدفع خاتمًا ثمينًا كهذا (تشير إلى خاتم في إصبعها) ثمنًا لرخيصة مثلي يا مولاي؟

الكونتيس : ها هو يا مولاي يعجز عن الرد، فهذا الخاتم أكبر دليل على صدق كلامنا، فهذا الخاتم توارثته الأجيال جيلًا بعد جيل، إذًا فهي زوجته.

الملك : ألم تقولي منذ برهة أنك رأيت رجلًا في القصر يمكنك

ان تتخذيه شاهداً؟

ديانا : نعم يا مولاي، لكني أكره ان يقف رجل حقير مثل بارول ويمثل أمامك للشهادة.

لافو : أجل، لقد صادفت اليوم هذا الرجل.

الملك : (يلتفت إلى رجاله): أسرعوا وجدوه وائتوني به.

(يخرج بعض الخدم)

برتران : سيدي، لن تجدي شهادته نفعًا، فسمعته القذرة كمشعوذ أحمق حقير تمنع لسانه الثرثار أن ينطق بشهادة حق.

الملك : هل أعطيت هذه السيدة خاتمك؟

برتران : أجل يا سيدي، وهذا برهان على ضعفي أمام جمالها العاهر وأنوثتها التي دائمًا ما تسخرها لاصطياد الرجال بما يحملوه من غريزة حمقاء ثائرة تخرج كالبركان الثائر بحممه الملتهبة لا يستطيع أحد إيقافه، لذا فقد استثمرت هذا الضعف وراحت تحفر فخها وتلف شباكها بإثارتها ومفاتنها حتى وقعت فيه كأي رجل اشترى جسدها قبلي وباعها في سوق النخاسية بأقل الأثمان، ولكن الفرق انني دفعت ثمنًا غاليًا وهو خاتمي هذا.

ديانا : لن انكر ذلك، فبعد خيانتك لزوجتك الأولى لن آمن

لك في خيانتي إن أنا أصبحت زوجة لك، ولكن بما أنك هكذا تعشق الخيانة فلن أندم على خسارتي فيك، كلف أحدًا لأعيد لك خاتمك بشريطة أن ترد إلي خاتمي.

برتران : ليس عندي من خواتم.

الملك : من فضلك، صفي لي خاتمك.

ديانا : هو تمامًا مثل خاتمك الذي في إصبعك يا مولاي.

الملك : (يمد يده): أرأيت هذا الخاتم؟ من قبل كان مع الكونت.

ديانا : نعم هو نفس الخاتم الذي أخذه مني ليلة عاشرني.

الملك : إذا فقد اخترع قصة إهدائك إياه في ورقة مكتوبة باسمك؟

ديانا : سيدي، لقد قلت لك الحقيقة كاملة.

(يدخل بارول)

برتران : (للملك): سيدي لا أنكر أن هذا الخاتم خاتمها.

الملك : لماذا ترتعد هكذا؟ (يشير لديانا إلى بارول): أهذا هو الرجل الذي تقصدينه؟

ديانا : بلى يا سيدي.

الملك : (لبارول): تكلم أيها الأحمق، ولا تنكر شيئًا تعرفه، ولا تخشى بطش هذا الرجل فأنا سأمنعه من أن يؤذيك، ماذا تعرف عن هذا الرجل؟ وما رأيك في هذه السيدة؟

(يشير إلى الكونت وإلى ديانا).

بارول : يا مولاي، سيدي الكونت رجل حكيم وشريف وفعل ما يفعله النبلاء.

الملك : تكلم بصراحة أكثر وأوضح ماذا تقصد.

بارول : نعم يا سيدي، لقد أحبها.

الملك : كيف ذلك؟

بارول : أحبها يا مولاي كما يحب جميع الرجال النساء التي تستحوذ على قلوبهم.

الملك : أنا لا أطمئن إلى طريقة حديثك أيها الدجال.

بارول : مولاي، أنا رجل بسيط يعيش تحت لوائك.

ديانا : هل تعلم أنه وعدني بالزواج؟

بارول : أقسم أنني أعرف أكثر مما أريد أن أقول.

الملك : إذن فأقر بما تعرف جملة.

بارول : حسنًا يا مولاي، لقد كنت رسولًا بينهما كما ذكرت، وأيضًا ذكرت أنه كان يحبها، بل كان يعشقها، وكنت أسمع همسهما عندما كانا يتسامران في حجرة نومهما فتأكدت أنهما مارسا الرذيلة، وعلمت أنه وعدها أيضًا بزواجه منها، ومعذرة لا أستطيع ان أعترف بكل ما أعرف يا مولاي.

الملك : لا أريد منك أكثر من ذلك، يمكنك أن تذهب بعيداً.
(لديانا): لقد قلت إن هذا الخاتم هو خاتمك؟

ديانا : نعم يا سيدي.

الملك : هل اشتريته؟ أم أن أحداً أعطاك إياه؟

ديانا : لا هذا ولا ذاك يا سيدي.

الملك : كيف وقع في يدك إذاً؟

ديانا : لم أجده في مكان.

الملك : إذاً فأخبريني كيف أعطيته إياه إذاً.

ديانا : أنا لم أعطه إياه.

لافو : إنها تتلاعب بحديثها يا مولاي.

الملك : إنه خاتمي، وأهديته زوجة الكونت السابقة إياه.

ديانا : لا أعرف ذلك يا مولاي.

الملك : اغربي عن وجهي، أمامك فرصة أخيرة لتوضحي الأمر، وإلا فسأضع الأغلال في يديك.

ديانا : لن أقر بهذا بتاتاً.

الملك : أيها الحراس، خذوا هذه العاهرة.

ديانا : أنا مستعدة لأي فدية يا مولاي.

الملك : حسناً، تأكدت الآن أنك فاسقة.

ديانا :(لبرتران): أقسم أنني لم أحب رجلاً غيرك.

الملك : (يشير إلى برتران): لماذا اتهامك لها طوال هذه المحاكمة؟

ديانا :لأنه آثم وغير آثم وهو يعلم ولا يعلم أنني لم أعد بكرًا، مولاي الملك، اقسم أنني طاهرة، فإما أن أكون لا أزال بكرًا او أن أكون زوجة لهذا الرجل (تشير إلى لافو).

الملك : إنك امرأة ثملة، خذوها إلى السجن.

ديانا : "أماه" أرجوك أن تذهبي وتأتي ببعض المال ككفالة.

(تخرج الأرملة)

على رسلك يا سيدي، أعطني فرصة حتى أنهي كلامي، لقد بعثت إلى الصائغ الذي صنع الخاتم، أما هذا الرجل فمهما يكن مدانًا فأنا سأعفو عنه، هو يتذكر تمامًا انه افقدني عذريتي، ورغم أنني حملت منه وأشعر بطفلي يتحرك في رحمي، هذا هو سري، فالتي أيقنتم بموتها هي في الواقع لا تزال تحيا وتعيش، وهذا هو سر هذا الغموض الذي يحيط بكم جميعًا.

(تعود الأرملة تصحبها هيلانة)

الملك : رباه! أهذه حقيقة أم أحلام؟ شيء لا يصدق.

هيلانة : لا يا مولاي، أنت ترى هيلانة باسمها لا بشخصها.

برتران : كلا، هما الاثنان معًا.

هيلانة : سيدي، حينما كنت مثل هذه الفتاة كنت أنت عطوفًا رقيقًا، هذا هو خاتمك، وتلك رسالتك سأقرأها عليك: "عندما تعثرين على الخاتم الذي أضعه في إصبعي، وتحملين في احشائك طفلًا من صلبي.. إلخ): هذا ما حدث تمامًا، فهل تريد أن تتزوجني؟

برتران : ليس قبل أن توضحي هذا الأمر برمته أمام الملك.

هيلانة :إن لم يكن حديثي واضحًا، فطبيعي أن يفصل بيننا طلاق حاكم. (الكونتيس): أماه، هل أراك فعلًا أمام عيني؟

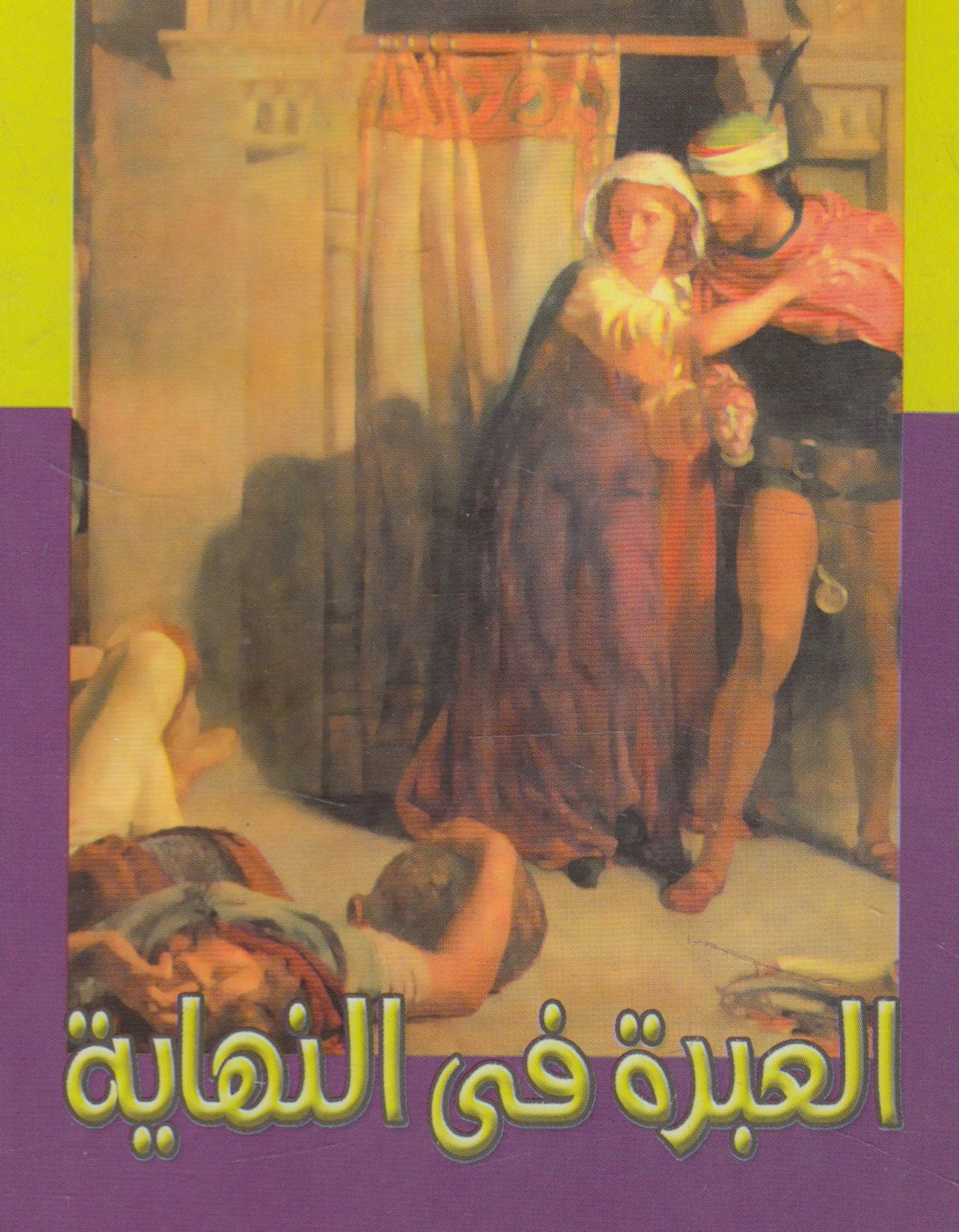
لافو : عيناي تشتاقان إلى الدموع.

(لبارول) : سيدي الأحمق، هلا أعطيتني منديلك لحظة، أشكرك، تعال لتسامرني، واترك هنا مكانتك وهندامك فهما يستحقان العطف.

الملك : (لهيلانة): من فضلك وضحي القصة خطوة بخطوة، ولنسعد جميعًا بتلك النهاية. (لديانا): عليك الآن ايتها النقية الحسناء ان تنتقي زوجًا وسأتكفل أنا بمهرك، فقد لعبت دورًا هامًّا في إنقاذ زوجة مسكنة بصونك لشرفك وعذريتك، وإن كانت هذه هي النهاية المأمولة المرجوة فمن المؤكد أن آلام الماضي وآثامه ستنتهي والحاضر

سيكون أكثر أملاً وسعادة.

(تصدح الموسيقى)



العبرة فى النهاية

